عـدد ديسمبر ٢٠٠٧



لغلاف الفنانة : زينب محمد أبو كريشة

سكرتير التحرير
سـيد عبد الحفيظ

عربيكيا

محمد أبو كريشة

إهداء

إلى المسلمين والمسيحيين.. إلى السنة والشيعة.. إلى الحكومة والمعارضة.. إلى الشعوب التى لا تدرى ما يدور حولها.. وتجرى إلى ما لا تدرى.. إلى قوم بلا ملة.. خاشعة أبصارهم.. خاضعة أعناقهم ترهقهم ذلة إلى قوم ضلوا الطريق إلى القبلة.. إلى العرب قبل أن يأخذهم عذاب يوم الظلة.. كتابى وندائى الأول والذى قد يكون الأخير.

(محمد)

قبل أن تقرأ

لا أدعى أننى مؤلف هذا الكتاب.. فالقراء هم المبدعون.. هؤلاء الذين اقتحموا عالمى، واقتحمت دنياهم فكان الالتحام بعد الاقتحام.. هم الذين استنطقونى فنطقت بعد صمت طويل.. هم الذين استزادونى.. فزدتهم.. دعونى فلبيت.. وكان بإمكانهم إسقاطى من أول سطر.. من أول حرف.. لكنهم صبروا علىّ ومعى.. وتواصلوا مدحاً وقدحاً.. اتفاقاً واختلافاً.. فأقنعونى بأن عربة «الروبابيكيا» العربية.. أو «العربيكيا» مازال فيها شىء ثمين.. مازالت فيها حياة.. أو بعض حياة.. أو رمق.. فواصلت بالتواصل معهم صراخى وألمى وبكائى.

> لا يهم من أنا.. ومن أكون وما مؤهلاتى وجوائزى وإبداعاتى وترتيبى بين أرباب القلم أو أرباب الألم.. المهم هم.. هؤلاء الذين أوقظوا النائم فى وجدانى وأعماقى.. وشهدوا لى أو شهدوا علىّ وضدى.. فأنت حى بعدد من يشهدون لك.. وعدد من يشهدون عليك.. بل إنك حى أكثر بعدد من يختلفون معك.. لأنك بالتأكيد تقول جديداً يستفز المشاعر ويثير الرفض والسخط.. تقول جديداً حتى إذا كان خاطئاً ومغالطاً.. فقط عليك أن تقول ما تصدقه.. وأن تتوب وتستغفر إذا اقتنعت بأنك على خطأ.. عليك ألا تكابر أو تتعمد السباحة ضد التيار لتثير ضجة تعطيك نجومية لا تستحقها.

أنا رجل بلا تلاميذ.. لكن أساتذتى يستعصون على العد والحصر والإحصاء.. ليس لى مريدون.. ولكنى مريد شيوخ وأولياء كثيرين.. ومحسوب على أناس كثيرين لهم على أياد وكرامات.. هم فى كل مكان.. وفى كل زمان عشته وسأعيشه حتى الموت.. تعلمت القدرة على المقاومة من

وهناك كثيرون نصحونى بأن أحذف أسماء القراء من مقالاتى عندما تتحول إلى كتاب لكنى آثرت أن أسجل أسماءهم فى الكتاب أيضا اعترافاً بفضلهم.. فأنا لا أكتب أفكارى وحدى.. وإنما هى أفكار القراء أيضاً وحذف أسمائهم من الكتاب تزوير فكرى لا أرضاه.. وجريمة تشبه جريمة سرقة أفكار وآراء الآخرين بلا إشارة إليهم وبين دفتى هذا الكتاب.. بضاعة القراء التى ردت إليهم.

وأما عنوان الكتاب «عربيكيا» فهو عنوان أحد المقالات.. ورأيت أنه عنوان جامع لكل السمك واللبن والتمر هندى فى أمة العرب.. عنوان لحالة التخبط وانعدام الرؤية لدينا جميعا.. فنحن لا نرى على خريطة العرب سوى «الروبابيكيا» والكراكيب.. وسلة قمامة ضخمة.. النجومية فيها للفضلات والمخلفات والنفايات.. كما أنه عنوان للتنوع وأحيانا للتناقض بين مقالات الكتاب وموضوعاته لكن كل هذا التناقض والتنوع يصب فى سلة قمامة واحدة.. وفى عربة يد واحدة تحمل كل أنواع الروبابيكيا العربية أو «العربيكيا».. فلا تحاسبونى على التناقضات والأخطاء وحاسبوا أمتكم.. وليحاسبنا الله جميعاً.

محمد أبو كريشة

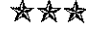
صهينة العرب!!

رسمياً لم تعد إسرائيل عدواً للعرب ورسمياً لم تعد القضية الفلسطينية قضية عربية.. وأصبح العرب وسطاء بين إسرائيل والشعب الفلسطيني.. ورسمياً لم تعد المذابح الإسرائيلية في بيت حانون أو غيرها تفزع العرب أو تضايقهم.. وما يحدث مجرد خلاف وصراع أصبحنا نسميه الآن رسمياً الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.. العرب ليسوا طرفاً في القضية أو الصراع.. هم مجرد وسطاء يبذلون جهوداً من أجل التسوية السلمية بين إسرائيل والفلسطينيين.. ولا مانع من أن يكون العرب في غاية النزاهة والعدالة وهم يتوسطون باعتبارهم أصدقاء للطرفين المتصارعين.. فيحملون إسرائيل بعض المسئولية عما يجري من مذابح وحصار وعدوان وتجويع.. ويحملون الفلسطينيين جزءاً آخر من هذه المسئولية نتيجة لتطرفهم وإرهابهم وإصرارهم على المقاومة.. وقد فعل العرب نفس الشيء أثناء الحرب بين إسرائيل وحزب الله في لبنان.. فقد أدانوا الطرفين المتحاربين على حد سواء ونال كل طرف نصيبه من اللوم.. فالشعب الفلسطيني وإسرائيل.. وحسن نصر الله وأولمرت في نظر العرب الرسميين سواء.. لأن العرب يريدون أن تكون وساطتهم نزيهة ورأيهم محايداً.. فهم ليسوا طرفاً في الموضوع.. والعرب يستخدمون تعبيرات معتدلة وعاقلة وهم يتوسطون بين طرفي النزاع.. فيسمون جرائم إسرائيل القوة المفرطة والعقاب الجماعي ويرفضون قتل المدنيين من الطرفين.. ويطالبون كل طرف بأقصى درجات ضبط النفس.

وبقليل من المتابعة تكتشف أن الموقف العربي الرسمي بشأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لا يختلف عن الموقف الفرنسي أو الموقف الصيني أو الروسي.. وأحياناً تجد الموقف الرسمي الفرنسي أقوى وأعنف من الموقف العربي.

والعرب الرسميون يصوغون مواقفهم طبقاً للمصالح لا للمبادىء والثوابت.. وهذا منتهى التعقل الذي بلغناه وقمة النضج السياسي في رأينا.. وصياغة المواقف الرسمية العربية تكون طبقاً لمصالح النخبة الحاكمة لا لمصالح الشعوب ويبدو أن مصالح النخبة العربية الحاكمة عند إسرائيل وأمريكا أكثر مما هي عند العرب الآخرين.. لذلك أصبحت لغة الخطاب الموجه إلى إسرائيل رقيقة وناعمة ومجرد عتاب أحبة لا يفسد للود قضية.. وإسرائيل لم تعد في حاجة إلى مبادرة سلام

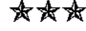
. بالاعتراف بها وبوجودها.. فالعرب اعترفوا بإسرائيل رسمياً وأقاموا
لاقات فى غاية الود سواء كانت علاقات علنية أو سرية.. وما خفى فى
الحميمة العربية الإسرائيلية أعظم كثيراً مما بدا وظهر على السطح..
سية السرية هى المحرك الأساسى للعلاقات العربية الإسرائيلية الآن..
ن لا يلجأون للعلاقات السرية مع إسرائيل مراعاة لمشاعر شعوبهم.. فهذه
لا قيمة لها.. وإنما لأن إسرائيل نفسها تفضل الصيغة السرية أكثر من
، علاقاتها مع العرب وغير العرب ليتاح لها ممارسة الألعاب القذرة فى
المضحك فى الأمر أن إسرائيل هى التى لا تعترف بالعرب ولا تقيم لهم
لأنها ضمنت تماماً ولاء النخبة العربية وربما لأن أصابع كثيرة أصبحت
الحاضر (تحت ضرس إسرائيل).



تلت إسرائيل عن حلمها القديم (من الفرات إلى النيل).. أو بمعنى أدق
سياغة هذا الحلم.. فلم يعد حلماً جغرافياً يتحقق بغزو عسكرى.. بل
، حلم سيطرة سياسية واقتصادية من بعد.. وقد رأت إسرائيل وتحقق
ن رؤيتها أن حلمها يتحقق بالسيطرة على النخبة العربية من المحيط إلى
سواء نخبة الحكم أو نخبة الثقافة والإعلام أو نخبة الاقتصاد وإعادة
ة فكر العرب وانضاج الفكر الجديد على نار هادئة جداً.. وكل الأفكار
ة وغير السياسية أو معظمها التى نتداولها حالياً بوعى أو بغير وعى إنتاج
، مثل محاربة الإرهاب وثقافة السلام والحوار مع الآخر وقبوله والشرق
الجديد أو الكبير.. وإقامة العلاقات على أساس المصالح والمنافع المتبادلة
ف والحروب.. وإقامة حوار بين الثقافات والأديان ورياح العولمة.. كل ذلك
ه صنع فى إسرائيل أو بتحديد أكثر دقة فى مصانع الصهيونية العالمية
اوز إسرائيل بكثير حتى يمكننا القول بلا أى مبالغة إن هناك مئات
ة العرب وربما ألوف الصهاينة العرب يرتعون ويلعبون من المحيط إلى
ويمكننا القول إن مصانع إسرائيل تطورت كثيراً ولم تعد فقط تنتج أفكاراً
ة بل صارت أيضاً تنتج بشراً صهاينة من العرب.

لمقارنات بيننا وبين إسرائيل فى المجالات العلمية والاقتصادية وغيرها
قارنات بريئة على الإطلاق.. فهناك إلحاح شديد من جانب كثير من
ة العرب فى كل مجال على عقد مقارنات شبه يومية بين العرب وإسرائيل
جال ورصد احصاءات وأرقام كلها فى صالح إسرائيل بهدف واحد لا ثانى
مساعدتنا على هضم إسرائيل بالهناء والشفاء باعتبارها الحضارة والتقدم
لديمقراطية وأننا إذا أردنا اللحاق بركب المدنية والحضارة فعلينا الارتماء

فى أحضان إسرائيل والاستفادة بخبرتها وعلمها وتقدمها ويروجون لفكرهم هذا بأن الخبرة والعلم والتقدم والحضارة أمور ليس لها دين ولا وطن وأن من واجبنا نحو شعوبنا أن نقتدى بالشيطان إذا كان عالماً وخبيراً ومتحضراً.. وهناك مقولات كثيرة يرددها الصهاينة العرب تجعل إسرائيل قضاءنا وقدرنا وقسمتنا ونصيبنا واننا إذا أردنا الرضا السامى للعم سام وإذا أردنا أن ندخل من كل باب بلا استئذان فإن علينا أن نكسب رضا إسرائيل وثقتها.. وإذا غضبت علينا إسرائيل فإن الله سيغضب علينا والعالم كله سيكرهنا.. وقد قال أحد جهابذة الصهاينة العرب يوماً إن إسرائيل هى أقرب الطرق أو هى الطريق الوحيد إلى قلب أمريكا وإذا تطلب الأمر أن نسبح فى البحر الميت لترضى عنا إسرائيل ثم أمريكا فلا جناح علينا فى أن نسبح.. فنحن فى رأيه يجب أن نسبح فى البحر الميت لنحيا.



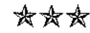
وقد أطلقت إسرائيل ومعها رسل الصهيونية العرب نظرية أو دعوة نشر الثقافة الجنسية ابتداء من المهد للأطفال العرب حتى يشبوا أسوياء بلا عقد عندما يعرفون مكان ووظيفة العضو الذكرى ودور العضو الأنثوى وكيفية الوصول إلى المتعة الجنسية عند المعاشرة.. وقد أصبح لهذه الدعوة رسل منهم نساء محجبات على قنوات فضائية تخصص احداهن برنامجاً كاملاً عن اللقاء السريرى بين الزوجين وكيفية الوصول إلى أقصى متعة.

والجنس هو الباب الملكى الواسع الذى تدخل منه الصهيونية القلوب والعقول عملاً بنظرية سيجموند فرويد عالم النفس النمساوى اليهودى الشهير الذى توصل إلى أن كل شىء فى حياتنا أساسه الغريزة الجنسية.. فالطفل الذى يرضع أصبعه يمارس الجنس.. والطفل الذى يرضع من ثدى أمه يمارس الجنس والمدخن يمارس الجنس مع السيجارة أو الشيشة.. والمجرمون واللصوص والقتلة والإرهابيون لديهم كبت جنسى ولو أتيح لهم الجنس بلا خوف وبلا رعب ولا حرام ولا حلال لأصبحوا أسوياء نافعين لمجتمعهم ولنبذوا الإرهاب وآمنوا بالسلام.. وهكذا فإن نشر الجنس فى الأمة العربية وجعله كالماء والهواء هو وحده الكفيل بنزع فتيل العنف واحتواء التوتر وجعل العرب الإرهابيين أسوياء.. فالجنس والنساء كانا دائماً وسيظلان سلاح الصهيونية الأقوى للسيطرة على الشعوب من خلال السيطرة على النخب الحاكمة.

وتقول نظرية الجنس لكل مواطن مجاناً التى أطلقتها الصهيونية و يتولى نشرها الصهاينة العرب إن التفكير فى ممارسة الجنس لدى الرجال والنساء يشغل الجميع تماماً عن الإنتاج والعمل والإبداع ولو أشبع كل مواطن ومواطنة رغبتهما وشهوتهما الجنسية بلا عقد ولا (كلاكيع) دينية لتفرغنا جميعاً للإبداع والخلق واللحاق بركب الحضارة كما فعلت إسرائيل وكما فعل قبلها الغرب.

النظريات والشروح والمتون الملحقة بها تقنع (الغلابة) فى أمتنا وهم أكثر
على القلب.. وعندما يقتنع الغلابة فإن ذلك يعنى اقتناع الأغلبية.. ولأن
العربية أصبحت أغلبية قطيع لا حول لها ولا قوة.. ولا عقل لها ولا قلب..
غلبية نقل لا أغلبية عقل فإنها عاجزة عن غربلة هذه النظريات واكتشاف
وزيفها.

نا إن الجنس المكبوت وعدم التمكن من اشباع الشهوة هو سبب مصائبنا
لصح أن نطبق ذلك على كل الشهوات والغرائز وندعو الجائع إلى اشباع
بأى وسيلة مثل السرقة وقطع الطريق والسطو المسلح.. وندعو الفقير إلى
فقره بقتل الأغنياء والقضاء على رجال الأعمال المليارديرات.. وهكذا فإن
ن ندعو كل الناس إلى ارتكاب الجرائم وليس لنا أن نعاقب أحداً ونسلب
لأنه يسعى إلى إشباع شهوته بأى طريق.. وبالتالى تصبح كل الوسائل
مة فى سبيل الغاية التى اقتنعنا بها وهى إشباع الشهوة.. ونلف وندور لنعود
رية أو شعار مكيافيللى الشهير «الغاية تبرر الوسيلة».



ف النهائى من رسالة الجنس التى كثر رسلها الصهاينة من العرب ومن غير
هو قتل روح المقاومة لدى الناس.. فالشهوات فى الإسلام مثلاً مخلوقة فينا
ها أولاً إذا لم ننجح فى اشباعها بالطرق الشرعية.. والصيام وغض البصر
الحسد والحقد والنظر إلى ما متع الله به طائفة منا زهرة الحياة الدنيا..
ر على المكاره والشدائد والمحن والاسترجاع عند المصيبة.. وكظم الغيظ
عند المقدرة.. كل ذلك وغيره وسائل لتربية روح المقاومة لدى البشر.. وهى
لا خلاف عليها فى الإسلام والمسيحية واليهودية.. وعندما تتربى لدينا
المقاومة لأنفسنا وهى الجهاد الأكبر فى الإسلام.. يمكننا بكل يسر الجهاد
لأعداء وهو الجهاد الأصغر.. يمكننا الصمود ومقاومة العدو والدفاع عن
والعرض حتى الموت وهذا بالضبط ما يريد الصهاينة من العرب ومن
يل ومن أمريكا انتزاعه منا.. فشعار الرسالة الصهيونية الذى يتردد لدينا
و: لا تقاوم.. وإذا أردت جنساً فمارسه بلا خوف وإذا أردت طعاماً فخذه ولا
ن كان حراماً أو حلالاً.. واعلم أن الفرصة لا تأتى الإنسان إلا مرة واحدة
مها ولا تتردد.. لا بأس من الاختلاس والسرقة والإفساد فى الأرض وخيانة
والتجسس مادام ذلك سيدر عليك أموالاً تنتشلك من الفقر.

يئاً فشيئاً تصهين العرب أو كادوا.. وبلغنا حداً من الصهينة جعلنا نخشى
بعضنا وتقاليد بعضنا ولا نخشى الرياح العاتية التى تهب علينا من إسرائيل
نع الصهيونية العالمية.. وعشنا لنرى خبراء ومفكرين ودعاة يقولون مثلاً إن

النقاب للمرأة كارثة كبرى قادمة إلينا من دول الخليج.. وان المصريين تأثروا بتقاليد الخليج ومعهم الشوام وشعوب المغرب العربى.. هناك فوبيا عربية من العرب.. الخليجيون خائفون من الرياح المصرية والشامية.. والمصريون خائفون من الفن السورى ومن زى المرأة الخليجية وأهل المغرب خائفون من غزو تقاليد المشرق.. ولا أحد فى المغرب أو فى المشرق أو فى وادى النيل أو دول الخليج يخشى العواصف التى هبت على الأمة من إسرائيل فأخرجت النساء من خدورهن إلى المراقص والبارات بحثاً عن حقوقهن الضائعة والمهدرة فى ممارسة الجنس والدعارة.. وأخرجت الرجال من رجولتهم وسحبت دماءهم ونقلت إليهم بدلاً منها مياه معدنية.. وأتاحت للمثلين (الشواذ) من الرجال والنساء حقوقاً فى ممارسة الجنس المثلى. لقد صار العرب صهاينة قلباً وقالباً وشكلاً وموضوعاً وكل تنازلاتهم وهوانهم وركوعهم باسم ثقافة السلام وقبول الآخر وحوار الحضارات والأديان.. لذلك فإن على كل عربى مازال يحتفظ ببعض عروبته وأصول دينه الإسلامى أو المسيحى أو اليهودى ألا ينتظر خيراً من أى اجتماع عربى على مستوى النخبة السياسية التى تقود الأمة إلى الصهينة.. والصهينة هنا تحمل معنيين فى معنى واحد أحدهما الصهينة على ما يجرى فى فلسطين والعراق ودارفور ولبنان وكل الأمة.. والصهينة أى التحول من العروبة إلى الصهيونية بعمليات جراحية أفقدت الرجل العربى رجولته وأفقدت الأنثى العربية أنوثتها.. فلم يعد الرجل رجلاً ولا امرأة.. ولم تعد المرأة رجلاً ولا امرأة.. ومازال عندنا أمل فى أناس متمسكين برءوسهم فوق أكتافهم ولم يتنازلوا عنها ليضعوا بدلاً منها (فردة شبشب) أو عضواً ذكرياً أو انثوياً.

وعندما تصهين العرب ونجحت الجراحة الدقيقة والبارعة التى جعلتهم صهاينة أجريت لهم اختبارات للتعرف على مدى صهينتهم واجتازوا تلك الاختبارات بنجاح عندما لم تطرف لهم عين بسبب أشلاء القتلى والجرحى الفلسطينيين فى بيت حانون وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية.. وعندما تعاملوا بحياد وهدوء وتعقل مع ضرب الشعب اللبنانى وتدمير منشآته وعندما باركوا ما يحدث من مذابح أمريكية فى العراق.. وعندما تخلوا عن الشعب الفلسطينى وقضيته بعد أن أكلوها لحماً ورموها عظماً.. وعندما لم تعد شرعية النخبة العربية الحاكمة مستمدة من التمسك بالثوابت الفلسطينية وأصبحت تلك الشرعية مستمدة من رضا إسرائيل ورضا أمريكا.. وليتهما ترضيان.. وكلما قدم العرب تنازلات وهواناً وركوعاً وسجوداً وذلة ومسكنة وتفريطاً تقول أمريكا وإسرائيل لهم: هل من مزيد؟ وهكذا أيها الذين مازالوا سادة وسيدات نجحت بامتياز الجراحة الإسرائيلية الأمريكية لصهينة العرب.

عربكيا !!

من حق الأصدقاء أن أكون قارئهم وأن يكونوا كتابى.. من حق الأصدقاء أن أجلس فى مقاعد التلاميذ وأن يجلسوا هم فى مقاعد المعلمين.. من حق الأصدقاء أن يقودوا وأن انقاد إليهم.. أن يقولوا واسمع لقولهم.. فأجهل الناس من قال: إنه أعلمهم.. وشر الخطائين من أخذته العزة بالإثم وقال: إنما أوتيته على علم عندى.. نحن نتعلم من بعضنا وإن اختلفت مقاعدنا ومواقفنا فى الطابور.. ليس شرطا أن يكون أفضلنا فى المقدمة.. وأقلنا شأنا فى المؤخرة.. ليس شرطا أن تبرز لى شهادتك وأخرج لك بطاقتى الصحفية لتثبت لى وأثبت لك أننى أو إياك الأفضل والأعلم.. ليس شرطا أن أكون أحسن منك لأكون أعلم منك.. ولا أكون أكبر منك بيوم لأعرف عنك أو أكثر منك بسنة.. الحق ليس مع واحد بعينه أو مع عشرة أو مائة.. الحق معنا جميعا.. كل منا يملك منه ذرة أو ذرتين.. قطرة أو قطرتين.. كوب حق.. فنجان حق.. حلة حق.. ملعقة حق.. ومن قال إنه احتكر الحق كله كما احتكر غيره الحديد والاسمنت ولحمنا ودمنا فقد كذب.. وكان على الباطل.. نصف الحق باطل.. ونصف المعرفة جهل.. ونصف الفطنة غباء.. ونصف العقل جنون.. الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها.. قد تكون عند طفل أو فتاة مثل ابنتى نفرتيتى.. أو عند شباب وشيوخ لا أعرف أعمارهم أمثال أصدقائى الأحباء عماد سعيد حزين وتامر محمود فؤاد وإبراهيم عبدالفضيل ومحمد خميس وأيمن القفاص والمنشاوى والجليشى وعلى فايز حزين وحامد شاكر زايد والشاعر سامى محمد عبدالمجيد والصيدلى محسن أحمد عمر عامر وتاجر السيارات محمد سعيد جامع وأحمد محمود وأحمد ثابت والحاج سعيد حزين والد عماد سعيد.. ومئات تفضلوا على ببعض وقتهم وأكرمونى بحبهم وحملونى مسئولية أرجو أن أكون أهلا لها.

لو.. حرف امتناع للامتناع.. لو جمعنا ذرات حقنا وقطرات صدقنا وجعلناها فى كومة واحدة.. لو ألغينا اسماءنا وصورنا وبطاقات هويتنا وانصرف همنا إلى الفعل لا إلى الفاعل وإلى المضمون لا إلى الصورة والاسم.. لانصلح حال وأمر هذه الأمة.. فنحن مشغولون بمن قال ومن كتب لا بما قيل وما كتب.. نحن نتزاحم على الفيلم من أجل النجوم والأبطال لا من أجل الموضوع والفكرة.. نحن مشغولون

المغنية وتسريحتها و ملابسها العارية لا بكلمات الأغنية ومعانيها.. نحن الله.. الله.. أعد يا أستاذ لقارىء القرآن لا للقرآن نفسه.. نحن نبحث عن جين بالقرآن لا عن العلاج بالقرآن.. نحن نذهب إلى اسم الطبيب لا إلى ته.. نذهب إلى اسم المحامى لا إلى عمله بالقانون.. نحن ننظر إلى توقيع فى ثم نقرأ بعد أن نعرف الاسم.. ونعطى عقلنا على بياض بلا مقاومة إذا لاسم معروفا.. نحن لا نتدبر ولا نتأمل ولا نراجع لذلك نلدغ من الجحر مائة مرة.. لذلك يسهل خداعنا والضحك علينا.. تعلمت على مر الأيام ألا أحدا.. لذلك كان ومازال اساتذتى أضعاف تلاميذى.. عرفت ما كنت أجهله الين ومحصلين فى الأتوبيسات وسائقى ميكروباص وطلاب فى الابتدائية لجامعة ومكوجية وترزية ونصابين.. لم أطلب من أحد إبراز هويته أو معرفة سنوات عمره أو مهنته.. ليست لدى شروط فيمن يقف منى موقف المعلم.. لم أحد يوما: ومن أنت حتى تنصحنى وتعلمنى (مش باقى غيرك انت كمان يا رة أو يا نكرة).. تعلمت حين استمعت أكثر مما أتكلم.. تعلمت حين أصغيت.. أننى كنت الأول على المدرسة فى السنة الثانية الإعدادية.. وطرت بشهادتى خ الأوداج أقول: (يا أرض اتهدى ما عليك قدى).

***

يوما مشهودا.. مراهق نال المركز الأول على المدرسة.. يشعر بأنه فى القمة الناس من حوله فى القاع.. (بالونة منفوخة وجدت فجأة من فسها).. وكان الذى (فسها) هو أبى رحمه الله.. أبرزت له شهادتى ورحت أثرثر حول زاتى وعظمتى واخترع لنفسى بطولات والرجل صامت ومبتسم ثم قال لى: وعك الكلى أقل من النهاية العظمى بخمسين درجة.. فقلت: ولكنى الأول على سة ولا يوجد أول مكرر والثانى بعدى بمراحل طويلة.. فقال: افترض أن سة كلها حصلت على صفر وأنت حصلت على درجة واحدة.. ألست الأول ا؟ يمكن أن تكون الأول على الراسبين والفاشلين.. لا تفرح بأنك (أحسن شين).. لا تنظر إلى ترتيبك.. لا تقارن نفسك بأحد.. اهتم بحجم إنجازك ه.. احزن على ما فقدت أكثر من فرحك بما حصدت.. لا يعمينك صوابك ل عن أخطائك الكثيرة.. لا تسعد بأنك (أعور) وسط عميان.. لم يقل أبى ه الله ذلك بنصه ولكن بمعناه فالرجل كان أبسط من أن يقول ذلك بالنص.. بعاميته المحببة.. والنتيجة أن (البالونة) لم تعد منفوخة وأن الدرس كان يما.

عاركنا فى الأمة العربية هى دائما نتيجة لمحاولة كل منا تسفيه أحلام الآخر ه وتهميشه واستبعاده وإقصائه.. معاركنا كلها صراع على كرسى الاستاذية بينما مقاعد التلاميذ خاوية لا تجد من يجلس عليها.. معاركنا كلها تدور حول احتكار كل منا للحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب.. نحن مشغولون بالبحث عن أخطاء بعضنا لا بإثبات صدقنا وصوابنا.. نحن نخوض الحوار وكل منا فى ذهنه أن يقنع الآخر و يخصفه ويفحمه ويلقمه حجرا.. لا أحد يدخل الحوار وفى ذهنه أنه مستعد للاقتناع بوجهة النظر المضادة والتنازل عن فكرته.. نحن (نغلوش) ونغالط ونلوى عنق الحقيقة ونكابر ونتصيد للآخرين لننتصر.. نحن مثل المسلمين اللذين يلتقيان بسيفيهما فيكون القاتل والمقتول فى النار.. ولماذا القتيل؟ لأنه كان حريصا على قتل صاحبه.. أليس هذا معنى حديث شريف؟.. وكذلك عندما نلتقى بألسنتنا وأقلامنا فالمتحاوران فى النار.. من انتصر منهما ومن انهزم لأن كلا منهما حريص على قتل وهزيمة صاحبه بالباطل لا بالحق.

المعارك فى لبنان وفلسطين والعراق وفى أى بلد عربى بين الطوائف والمذاهب والملل والنحل ليست سوى عزة بالإثم.. كل فريق يحتكر الحق.. أنا على صواب ولو على جثتك.. لابد من قتلك حتى لا تعارضنى وتقارعنى الحجة.. بالحجة.. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى.. ولكننا الآن نتسابق.. كل منا يحاول أن يهدى إلى الآخر عيوبه أو يخترع له عيوبا.. وكل منا لا يقبل أن يهدى إليه أحد عيوبه.. لذلك يحدث الصراع والشقاق.. كل منا لا يريد من أحد أن يتدخل فى شئونه الداخلية بينما يسعى هو نفسه إلى التدخل فى الشئون الداخلية للآخرين.. العرب لا يلتقون إلا بالسلاح.. ولا يجتمعون إلا على شقاق ونفاق.. ولا يعقدون هدنة إلا على دخن.. والدخن هو الخيانة والحقد.. وتحين الفرص للعودة إلى القتال ضد بعضنا فقط لا ضد أعدائنا.

***

لا أحد يعرف الفئة الباغية لنقاتلها جميعا.. حتى تفىء إلى أمر الله- وقد روى والعلم عند ربى إن كانت الرواية صحيحة أم مدخلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا عمار بن ياسر رضى الله عنه: تقتلك الفئة الباغية.. وقيل إن الناس عندما وقعت أحداث الفتنة الكبرى انتظر كثير منهم تحديد موقف عمار بن ياسر.. وعندما انضم عمار إلى جيش الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ضد جيش معاوية رضى الله عنه حسم كثير من المترددين أمرهم وناصروا عليا وعرفوا أن جيش معاوية يضم الفئة الباغية التى ستقتل عمار بن ياسر.. وعادت البلبلة مرة أخرى عندما تدخل عمرو بن العاص رضى الله عنه بتأويل شهير وقال: إن الفئة الباغية التى ستقتل عمار بن ياسر هى تلك الفئة التى زجت به فى الحرب.. وليس المقصود السيف الذى قتل عمار ولكن المقصود الفكرة التى قتلته والقناعة التى قادته إلى الموت غيلة.

كذا تاه وضاع مفهوم الفئة الباغية وتفرق المعنى بين القبائل وغرق فى بحر
سيرات والتأويلات حتى الآن وحتى بعد قرون عربية طويلة قادمة.. وبنفس
يقة وبذات المنهج يعيش العرب الآن ويموتون.. فأنت لا تعرف من له الحق
عليه الحق.. من الفئة الباغية والفرقة الناجية من الفئة الضالة والفئة
تدية.. من الإرهابى ومن المعتدل. ومن الوطنى ومن الخائن؟ ومن صاحب
سيلة ومن صاحب الرذيلة.. حتى الدين نفرده.. ونثنيه ونغسله ونكويه ونغنى له:
ى وانا حرة فيه).. أنا أريد اسمى وصورتى وإثارة اندهاش الناس وانبهارهم
قلت باطلا ولو افتيت بأن ترضع الموظفة زميلها فى العمل من ثديها عدة
مات ليصبح محرما عليها وتجوز خلوته بها لأنها أمه التى أرضعته.. نحن نريد
ثير الاندهاش والإعجاب بالتطاول على الدين وعلى الذات الإلهية وعلى
بياء وعلى من فى السلطة سواء كان رئيسا أو مديرا.. نشتم ونسب بالحق
باطل ليقال إننا أبطال وشجعان وصناديد.. ولا نخشى فى الحق لومة لائم..
ع الأمر أننا لا نخشى فى الباطل لومة لائم.. لأن (اللى اختشوا ماتوا).. ولأن
ضوعية ليست طريقا جيدا للذيوع والشهرة.. لابد من الشذوذ.. لابد من
روج على النص.. الإبداع هو الخروج على النص.. الالتزام بالنص وبإشارات
ور والقواعد والمعايير والدين والأخلاق فى رأينا عى وعجز وضعف.. وكم من
ى تنصحه باللجوء إلى القانون ليأخذ حقه فيقول لك: (هو أنا أكتع.. أنا آخذ
ى بذراعى.. القانون ده للهبل الضعفاء.. من عينتك).

مان من ألف ألف عام كنت فى الجامعة وكانت هناك شلة أظننى صاحبتها
ى الوقت.. وكان هدف الشلة هو إفساد الحفلات التى تقيمها الجامعة..
فلات الفنية أو الثقافية أو الخطابية.. وكان لهذه الشلة منهج فى إفساد
فلات بالصفير أو التصفيق المبالغ فيه أو مقاطعة الخطيب أو المغنى بالهاتاف
. وكانت هذه الشلة تسمى نفسها (شركة شد لتبويظ الحفلات).. وكثيرا ما
قت النجاح فى إلغاء حفلات وكان من بين أعضاء هذه الشلة من لم يتم اختياره
من فريق التمثيل أو الغناء فكان يقود إفساد الحفلات بطريقة (فيها أو
فيها).. وهذه الشلة زاد عدد أفرادها الآن فى الأمة العربية ونشرت دعوتها
سالتها وهى دعوة بسيطة جدا تقوم على فكرة الخروج على أى نص ولا أظن أن
العرب الآن من يلتزم بنص.. بل إن كل عربى أصبحت له قضيته وهدفه
خاص.. فقضية فلسطين صارت أربعة ملايين قضية فلسطينية وقضية لبنان
بحت مائة مليون قضية.. وأصبحت أى قضية كلمة حق يراد بها باطل وقميص
ثمان الذى يرتديه كل عربى طلبا للثأر.. وأنا مستعد من كل قلبى أن أكف عن
ت والعجن وتكرار حديثى عن الأمة إذا كفت الأمة عن تكرار أخطائها.. نصائحى

مكررة لأن أخطاءك مكررة.. مواعظى معادة ومملة.. لأن مصائبك وذنوبك معادة ومملة.. جدد أجدد.. لماذا يمل الناس تكرار الإنذار والوعظ والتهديد والوعيد ولا يملون تكرار وإعادة إنتاج الخطايا والذنوب والمصائب.. لن تجدوا عند الكاتب والقائل جديدا لأن العربى لا يقدم جديدا نكتب عنه.. وقد قال أحد الفنانين مرة: إن النقد الفنى لم يعد له وجود.. النقاد الفنيون غير متبصرين ولا متخصصين فقلت له: ألا تعرف السبب؟ قال: لا.. قلت: لأنه لم يعد هناك فن ننتقده.. النقد الفنى اختفى.. لأن الفن اختفى.. النقاد لا يقولون جديدا لأن الفن لا يقدم جديدا.. النقد الفنى والثقافى بلا قواعد ولا معايير لأن الفن والثقافة بلا قواعد ولا معايير.

***

المشهد العربى كله ليس فيه جديد فلا تطلبوا جديدا ممن يتحدث عنه.. كلمات التعازى والرثاء والمشاطرة ليس فيها جديد لأن الموت ليس فيه جديد.. ومع ذلك لابد أن تقولها.. لابد أن ترسل لى برقية تشاطرنى فيها الأحزان.. ولو لم تشاطرنى لوجهت إليك اللوم.. وخاصمتك.. وقاطعتك.. والمشهد العربى ليس فيه إلا الموت ورائحة الدم والجثث.. العرب لم يعد لديهم إبداع إلا فى قتل بعضهم.. وهم يرفعون أيديهم بعلامات النصر على بعضهم.. قتيل فتح وقتيل حماس فى النار والشعب الفلسطينى كله فى النار التى أشعلها مناضلو فتح ومجاهدو حماس.. ومن عجب أن الفريقين يقولان إن إسرائيل هى التى تبث الفتنة بينهما.. فإذا كنت تدرى فالمصيبة أعظم.. أنت تعرف أن الطرف الآخر يتآمر عليك ومع ذلك تجعل نفسك أداة طيعة فى يد المتآمر.

بالذمة هل هناك غباء وحماقة أكثر من ذلك؟.. هل هناك خردة عربية وروبابيكيا عربية أسوأ مما نحن فيه.. قضايانا بيكيا وأفكارنا بيكيا ومشاكلنا وأزماتنا وأمتنا بيكيا.. لذلك سأظل أنادى بلا ملل.. بيكيا.. بيكيا.. عربيكيا.. عربيكيا.

***

والنكتة التى تميتنى من الضحك والبكاء أن العربى مشغول بتحسين صورته فى عيون الغرب وأن المفكرين العرب لا يكفون عن دعوتنا لقبول الآخر والتعايش معه وينفقون الملايين من أجل تحسين الصورة العربية والإسلامية لدى الأسياد بينما لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوب العرب وما حسنت صورة العربى فى عين العربى.. العربى مستعد لأن يدخل جحر الضب خلف الغربى لكنه يرفض أن يدخل المسجد أو الكنيسة أو القصر المنيف خلف أخيه العربى.. لقد أغرى الله بيننا العداوة والبغضاء بما كسبت أيدينا وسلط شرارنا وأدعياءنا وأفاكينا وحواتنا

بينا على خيارنا وعلمائنا والصادقين منا ويدعو خيارنا فلا يستجاب لهم.. ب العربى مستعجل.. والسيئة عمت فلا تطلبوا منى أن أخص مصر أو سوريا س أو فلسطين أو دول الخليج بقولى وبلطمى وندبى.. ليس عندى علاج لمن وينكر أنه مريض.. جهدى كله منصرف إلى محاولة فاشلة لإقناع الأمة بأن نها خفت وأنها هانت وأن أمها هاوية وما أدراك ما هى.. نار حامية.. لست تصنيف والتقسيم.. ليس عندى عربى نيلى وعربى خليجى.. وعربى طى.. ليس عندى رجل وامرأة وشاب وفتاة وشيخ وطفل ومسيحى ومسلم ى وشيعى وإنما عندى مشهد عربى دام دامع وفساد بلغ النخاع والحلقوم.. ان عربى فسد فقيرا وفسد غنيا وفسد منحرفا وفسد مستقيما و فسد نا وفسد متدينا.. إنسان عربى نائم هائم.. وهو من البهائم.. ولا يخشى فى ل لومة لائم.. إنسان بيكيا.. أمة بيكيا.. لذلك أنادى حتى الموت.. عربيكيا.. كيا.. فهل من مجيب؟!!

بفلوسك..
بنت السلطان عروسك!

ليس صحيحا ان العصر الذي نعيشه الان هو وحده عصر الماديات.. انها اسماء سميناها نحن وآباؤنا ما انزل الله بها من سلطان.. واجدادنا كانوا يقولون ايضا ان عصرهم هو عصر الماديات وان زمان كان افضل.. فمنذ الف سنة اويزيد قال الشاعر الطغرائي.. غاض الوفاء وفاض الغدر.. واتسعت مسافة الخلف بين القول والعمل.. ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني حتي اري دولة الاوغاد والسفل.. فالبكاء علي الاطلال ورثاء الماضي وصب اللعنات علي الحاضر عادة عربية اصيلة.. لذلك لانمدح الا الموتي ولانكرم الاحياء.. لاننا نخاف الاحياء ونخشي علي مواقفنا منهم.. اما الموتي فنحن في مأمن منهم لذلك نبالغ في مدحهم وتكريمهم

الصراع قديم قدم الانسان بين الشكل والمضمون وبين المظهر والجوهر.. وبين القول والعمل.. وبين الجيوب والقلوب.. وبين الفلوس والمبادئ والقيم.. وهو صراع لم يحسم وان كانت الغلبة في معظم فترات التاريخ للفلوس.. وهذا امر لاينفرد به عصرنا وحده ولايخص مجتمعا دون الاخر.. وفي التراث المصري مايؤكد ان الحرب بين الخصمين لم تهدأ وان الفلوس لها القول الفصل في اغلب الاحيان.. فنحن نردد منذ زمن سحيق: بفلوسك بنت السلطان عروسك.. واللي معاه قرش يساوي قرش.. والغني طلب شقفة قام الفقير كسر زيره واللي مامعاهوش مايلزموش.. وعشرات الامثال الشعبية التي تؤكد ان الغلبة للفلوس وان صاحب القرش صياد.

والانتخابات في العالم كله لعبة فلوس في المقام الاول.. فلا احد يمكنه الان ان يخوض الانتخابات بالمبادئ والقيم والافكار الجميلة.. ولايمكن ان يؤثر في الناخب بخطبة عصماء او قول بليغ او عدة ابيات من الشعر.. ويمكن للاخرس الغني ان يهزم الفقير البليغ بوجبة طعام ساخنة للناخبين او عشوة أو مائة دولار او جنيه او يورو للصوت.. وهو ما يسمي في العالم كله الرشاوي الانتخابية.

وقد بدأت هوجة او موسم الرشاوي الانتخابية عندنا مبكرا جدا استعدادا للسباق علي عضوية مجلس الشعب ويبدو ان الراغبين في خوض معركة مجلس الشعب لم يتعلموا من معركة انتخابات رئاسة الجمهورية التي كانت مراحلها جميعا نظيفة ولم تلعب الفلوس لعبتها في حملتها الدعائية ربما لان التجربة جديدة والضوابط صارمة والنتيجة شبه محسومة.

رشاوي الانتخابية في السباق علي مقعد البرلمان تتدفق منذ شهور من جانب غبين في الترشيح مستقلين لان الاحزاب لم تحسم امورها بعد ولم تحدد سحيها حتي الآن.. والمستقلون فقط هم الذين افتتحوا موسم الرشاوي التي ت وتعددت وشهدت ابتكارات جديدة وطرائف عجيبة.

ذا مرشح مستقل في اقصي الصعيد بدأ تنظيم رحلات مصيف علي أفواج.. فوج يضم الف شخص لمدة اسبوع.. ومرشح آخر يوزع خطوط محمول هدايا خبين واخر قرر التبرع بقطعة ارض زراعية.. وليست صحراوية لبناء مدرسة او جد.

ما نشط مقاولو الاصوات الذين يتقاضون من المرشح مبلغا مقطوعا حسب د الرءوس التي يسيطرون عليها من الناخبين.. ولم يفكر احد من المرشحين ستقلين مثلا في ان يسدد ديون مائة ناخب لبنك التنمية والائتمان الزراعي.. ا لان المرشح نفسه اقترض من البنك عدة الوف من الجنيهات لتمويل جزء من لته او رشاواه الانتخابية.

الانتخابات في العالم كله صارت مجالا للاستثمار المربح ومجالا ايضا لغسل وال فلا يعقل ان مرشحا يرمي مئات الالوف من الجنيهات او اي عملة من اجل ون الناخبين وتقديم الخدمات لهم.. لكنه صاحب قرش صياد يعلم انه يرمي نيه ليربح منه فيما بعد.

اللوم كله علي الناخب الذي يبيع ارادته بثمن بخس ويبيع ذمته بأرخص من راب.. ومن الناخبين من سمعتهم يقولون علي الهواء بعد انتخابات مجلس عب عام ٢٠٠٠ لقد اخذنا فلوس بعض المرشحين ولم نعطهم اصواتنا.. وذلك ر اقبح من ذنب ولاينفي اتهام الناخب بانه منافق وغشاش ولاقيمة لصوته لانه كل الاحوال شاهد زور طالما ان هذا طبعه.. وكان ينبغي لمن قال هذا الكلام ارغ ان يخجل من الاعتراف بالجريمة المخلة بالشرف.. والاغرب ان المذيع او سئول الذي كان مع الناخب علي الهواء ضحك بإعجاب وقال ان الناخبين عندنا ياء.

ن الناخب عندنا وفي كثير من دول العالم.. خاصة ذلك العالم المسمي تأدبا الث او النامي لم يعد امينا في رأيه وحريصا علي صوته الا من رحم ربي حتي ل في احدي الدول الاوروبية العريقة ان الخاسرين في الانتخابات هم الذين بغي ان يحتلوا مقاعد البرلمان.. وقال احد الساسة الانجليز.. في الانتخابات وجد معارضة تكسب ولكن توجد حكومة تخسر.. لان الناخب يعطي صوته في لب الاحيان كراهية لمعاوية وليس حبا لعلي.. كما ان المعارضة في الغالب تصرف

فلوسا اكثر بينما تعتمد الحكومة علي ماتتصور انه رصيدها من الانجازات.. والفلوس طبعا تكسب.

وفي أمريكا التي تتباهي علي العالم كله بالحرية والديمقراطية تجري دائما انتخابات مزورة لان التزوير مراحل ودرجات وطرق واساليب .. فهناك تزوير الاوراق الانتخابية وتزوير الجداول وتزوير الصناديق وتزوير بمنع الناخب من الوصول الي الصندوق.. وهذه كلها اقل طرق التزوير خطورة.. اما ابشعها واشدها خطرا فذلك الذي يتم في امريكا وهو تزوير ارادة الناخب واللعب في مخه وتغييب وعيه وتخديره بأكاذيب علي انها حقائق والالحاح علي رأسه بآلة اعلامية ضخمة تجعله يعرف ماتريد السلطة ان يعرفه فقط.. حتي صار الناخب في امريكا وفي الغرب عموما منوما مغناطيسيا وصار دمية تتحرك باصابع خفية خلف كواليس المسرح.

والناخب في العالم الثالث ربما يتم تزوير اوراقه او صندوقه او لجنته لكن ارادته الي حد ما مازالت اكثر حرية من الناخب الغربي الذي يبدو فاهما وواعيا وعارفا لكنه في واقع الامر ضحية لجهاز اعلامي جبار نحمد الله انه ليس عندنا حتي الان.

خلاصة القول انه لاتوجد في أي مكان تحت الشمس انتخابات حرة ولاناخب حر ولا فائز يستحق الفوز علي طول الخط ولا خاسر يستحق الخسارة لكن توجد لعبة انتخابية لها لاعبوها ولها ناسها.. وخلاصة الخلاصة ان الديمقراطية الغربية ليست هي الطريق الموصل الي المدينة الفاضلة.. والمشكلة ان الغرب يملي شروطه بفلوسه ويسوق قيمه وافكاره بالعصا والجزرة.. ومن يؤيده يصبح ليبراليا ولديه فضيلة القبول للاخر.. ومن يعارضه او يخالفه يوصم بالتخلف وربما بالارهاب.. ومن ليس مع الغني القوي فهو ضده.. ولم نعد نستطيع ان نردد قولنا الشهير.. مافيش حاجة تيجي من الغرب تسر القلب.. لان الغرب بالذوق بالعافية لابد ان يسر القلب .. فهو صاحب النفوذ والفلوس وينطبق عليه مثلنا الشعبي الشهير.. بفلوسك بنت السلطان عروسك!

وزير برخصة خفير!!

العشوائية معنى لا مبنى.. العشوائية منطق لا منطقة.. العشوائية إنسان لا مكان.. إنها فكر ومنهج واسلوب حياة.. فالكراكيب فى أعماق وعقل الإنسان قبل أن يفرزها على شكل بناء مخالف أو منطقة يقال عنها عشوائية.. فالعشوائيات الجغرافية التى تملأ الدنيا ضجيجا حولها مجرد تعبير عن حالة عقلية ووجدانية لدى الناس.. لكننا حين نتحدث عن المناطق العشوائية يحلو لنا ان نخرج الأشياء من سياقها الصحيح..فلا نقدم تشخيصا سليما للمرض ولا نصف علاجا ناجعا له.

والكلام عن العشوائيات يشبه شعر المناسبات.. ويشبه حديثنا عن أى قضية أخرى.. فهو دائما تفرضه المناسبة.. وهو حديث رد الفعل وليس الفعل.. فعندما تقع عملية إجرامية مثلا نتكلم عن العشوائيات بوصفها أرضا خصبة لزراعة الجرائم والمجرمين وملاذا آمنا للخارجين على القانون.. وهذا كلام فيه كثير من التعالى وقليل من الحقيقة لأنه منصب على عشوائيات الفقراء.. بينما لم يتحدث أحد عن عشوائيات الأغنياء وهى أكثر وضوحا وأعظم خطرا وأشد تحديا للقوانين.

وإذا كانت عشوائيات الفقراء أفقية فإن عشوائيات الأغنياء رأسية.. فهم يحاصرون النيل بأبراجهم ويحتكرون وحدهم رؤيته والنظر إليه.. ويصرفون فيه نفايات عواماتهم وفنادقهم ومستوطناتهم السياحية.. ولم يشر إليهم أحد بأصبع الإدانة ولم يتهمهم أحد بأنهم احتلوا عيوننا وأنوفنا وآذاننا ومارسوا ضدنا الإرهاب البصرى والسمعى.

ولم يقل أحد إن معظم المناطق الراقية فى القاهرة عشوائية لأن ترخيص البناء يصدر بأربعة أدوار وإذا بالبرج يقفز فى الفضاء أربعة عشر طابقاً ولو كره القانون وينتهى الأمر بإقرار الواقع والتصالح وكأن المنطق السائد هو منطق إسرائيل الذى يقول: "احتل أولا ثم تفاوض".. اخلق أمراً واقعاً ثم تفاوض ولن يجد الطرف الآخر حيلة بعد ذلك سوى التسليم والإذعان.

المسألة إذن ليست مكانا عشوائيا ولكنها إنسان عشوائى وذلك هو مربط

علينا ان نعترف بأن العشوائية سلوك ومنهج حياة واسلوب وانها تبدأ من
ن ان تتحول إلى شخبطة على الورق.. علينا ان نعترف بأن "العشوائية
مش فى الكراس".. واننا جميعا مخالفون كبشر لا كبنايات أو عمارات
عشوائية.

ة بشر يرددون ليل نهار "معلهش".. قول يا باسط.. كبر دماغك.. واحنا
احنا حنصلح الكون.. بشر يرون ان المخالفة وكسر القواعد والسير فى
اكس دليل قوة ونفوذ.. وان الالتزام والاستقامة واتباع النظم والقواعد
ة حيلة وخيبة أمل راكبة جمل.

عة بأن القانون هو سكة الغلابة ومكسورى الجناح لأن أصحاب القوة
سلطان ليسوا معنيين بالقانون بل ان القانون فى رأيهم صدر خصيصا
رتهم على مخالفته وخرقه وتجاوزه وتحديه.. فالبراعة دائما فى البحث
لتجاوز القانون وليست فى الالتزام به.

ية البشر هى بيت الداء.. فدعك من البنايات والمناطق المخالفة وانظر
ر المخالفين.. وإذا كانت العشوائية الجغرافية تعنى البناء المخالف
أو إقامة منشآت على أرض غير مخصصة للبناء فإن ذلك يحدث للبشر
جة افتقاد القواعد والأسس الصحيحة للاختيار واحتلال المواقع
فلا عجب ان ترى وزيرا برخصة خفير أى ان الرخصة الصادرة لبنائه
وجدانى هى ان يكون خفيرا لكنه خالف الترخيص وارتفع وعلا من بناية
إلى بناية من أربعين طابقاً.. وهكذا يمكن ان تجد مديراً برخصة سائق
.. وان تجد رجل أعمال برخصة بقال أو نشال.. وفى المقابل يمكن ان
لديهم تراخيص ليكونوا أبراجاً شاهقة لكنهم عجزوا واكتفى كل منهم
ورا واحدا لأن القواعد غائبة والأسس مفقودة.. والهوى هو الحاكم

ل النامية تجد دائما جعجعة ولا تجد طحنا.. وكثرة الشعارات
ت فى تلك الدول هى الدليل القاطع والبرهان الناصع على اختفاء
وقديما قال أحد الحكماء: إذا صرخت الشعارات بح صوت المضامين..
ولدنا وحتى نموت ويموت ورثتنا نسمع هتاف الرجل المناسب فى المكان
سمع هتاف الشفافية والمصداقية والأرقام التى لا تكذب والكفاية
كن الماء دائما يكذب الغطاس واللى نبات فيه نصبح فيه.

ى النائمة لا يعرف الناس منطق تقدير العواقب.. ويتصرفون بمنطق
نهاردة وموتنى بكره".. يتصرف بعض الكبار كالأطفال ولكن بغير براءة..

فالمرء يريد ان يفعل ما يسعده هو وما يحلو له هو بصرف النظر عما إذا كانت الكرة التى يلعب بها فى الشارع ستحطم زجاج سيارة واقفة أو بناية مواجهة أو تصيب أحد المارة فى مقتل.. والمرء يبنى على الأرض الزراعية بصرف النظر عما إذا كان تصرفه هذا يعنى انتحاره وتدمير مستقبل أبنائه وأمنه.. المهم ان يكون هو مسرورا ومبسوطا ولتمطر السماء دما بعد ذلك.

العشوائية هى ذلك الشعور الزائف لدى الناس بالأمان والاسترخاء حتى إذا كانوا مسترخين فوق ألغام.. العشوائية هى الاستبعاد الأبله للخطر الماثل والقريب جدا والتحرك الأهوج إذا وقع حتى يصبح التحرك مصيبة أكبر من الخطر الذى وقع نفسه.

العشوائية هى التبرير الخائب للكوارث بأنها تحدث فى أوروبا والدول المتقدمة ولسنا وحدنا الذين عندهم كوارث وحوادث.. والعشوائية هى القول الساذج عندما نعانى مشكلة بأن هذه المشكلة لم تصل بعد إلى حد الظاهرة وانها حالات قليلة لا تدعو إلى القلق والانزعاج.. وأشد أنواع العشوائية هو تكبير الصغائر وتصغير الكبائر لحاجة فى نفس يعقوب وعدم إعطاء الأمور حجمها الحقيقى . العشوائية ان تكون الجنازة حارة والميت كلباً أو تكون الجنازة باردة والميت هو الملك كليب

الموافق منافق!

سألت صديقى الأديب المحسوب على المعارضة عن رأيه فى استقالة فاروق حسنى ثم عدوله عنها ففاجأنى بقوله إن فاروق حسنى أفضل وزير ثقافة على مدى أكثر من نصف قرن وأنه دلل المثقفين الذين يعيشون معه عصرهم الذهبى.. وعندما استرسل وراح يعدد إنجازاته قاطعته متسائلاً: ولماذا لا تكتب ذلك فى المساحات المتاحة لك بالصحف؟ ففاجأنى مرة أخرى قائلاً: أخجل من أن أكتب ذلك.. سأكتبه عندما يترك الوزير موقعه!

ولم أعد فى حاجة إلى المزيد من كلام صاحبى فقد لخص المشهد كله فى جمل قصيرة.. فالمعارضة بالحق أحياناً وبالباطل كثيراً هى الرابحة الآن وهى البضاعة المطلوبة للزبائن فى سوق الفكر حالياً فهى دليل الاستنارة والبطولة والجرأة والشجاعة.. وتحت عباءتها وعنوانها يمكننى أن أفسد وأتربح وأسرق وأجمع الملايين وأكون بمنأى عن الاتهام بالفساد لأننى معارض.. والمعارض دائماً شريف ونزيه وفوق الشبهات.. وسأكون بريئاً حتى لو ثبتت ادانتى.. لأن الناس غارقون فى الهموم لكنهم أيضاً غارقون فى الخوف والجبن لذلك يسعدهم كثيراً من يشتم ويسب ويلعن بالنيابة عنهم.. ويحتشدون بالمئات فى مسجد يخطب به إمام شتام لعان حتى إذا كان ضحلاً فى علمه وفقهه ولغته.. ويقرءون لقلم يرمى الدنيا كلها بالفساد والظلم حتى إذا كان صاحبه فاسداً ولا عزاء للموضوعية والمنطق فيما يُقال ويُكتب.

والناس يكرهون الموافق والمؤيد ويحتقرونه.. والموافق دائماً منافق حتى إذا صدق وحتى إذا أقسم بأغلظ الأيمان وحتى إذا كان التأييد موقفه الفعلى.. فالموافقون مثل المنجمين كاذبون وإن صدقوا.. لأن الموافقة صارت كلمة سيئة السمعة منذ أصبح الموافق يتفضل برفع يده.. ومنذ أصبح الجميع يرفعون أيديهم وينكسون رءوسهم.

والحكومات والأنظمة لم تعد فى حاجة إلى مزيد من الموافقين.. لذلك اتجهت إلى تجنيد معارضين لتبييض وجهها والتباهى أمام الدنيا بأنها حكومات ديمقراطية.. لكنها عادة تحدد سقفاً لهؤلاء المعارضين لا يتجاوزونه.. وفى ظل الهجمة المسماة عولمة وفى ظل شعارات دولية عن الحريات وحقوق الإنسان صارت

مة تتباهى بمعارضيها لا بمؤيديها.. وأصبحت تفاخر بشعراء الهجاء لا ء المدح.. وفى الحالتين يكون الشاعر الهجاء أو المداح مستأجراً.. حتى قيل نظمة فى عصرنا الحالى تدفع لمعارضيها أكثر من مؤيديها.. لأنها فى الداخل ى معارضين بينما فى خارج الحدود تشترى موافقين ومؤيدين.. وكلما كثر رضو الداخل حصلت الحكومات والأنظمة على شهادات دولية بأنها راطية.. وكلما كثر مؤيدو الخارج انتفت أى شبهة بأن الموافقين منافقون.

ذا لا يمنع من أن السحر أحياناً ينقلب على الساحر وينسى المعارض أنه تم سيره فى المعمل أو أنه معارض أنابيب مثل طفل الأنابيب فيصدق نفسه ساوز السقف.. لكن ذلك لا يحدث كثيراً فالأنظمة فى العالم كله تختار ضيها من ذوى العاهات الأخلاقية والمآخذ السلوكية لتضمن السيطرة عليهم رجوا عن الخطوط الحمراء.

تابع للمسرحية إذا كان على بعض الوعى يجد نفسه فى موقف عجيب.. حيث ف أنه ضد الحكومة وضد المعارضة.. ولا يصدق الموافق ولا يصدق المناهض فض.. فالحكومة على رأسها بطحة تحسس عليها دائماً إذا عارضها أحد شوعية.. والمعارضة أصبحت أكثر من الهم على القلب.. وصارت معارضة مثل ى العتبة كل يصرخ على بضاعته ويشكك فى بضاعة الاخر.. على أمل أن رى أحد سكوته.. أن يشترى لسانه أو يشترى قلمه.. لكن الأنظمة فى الدنيا لم تعد تشترى السكوت.. بل تشترى الكلام حتى لو كان ضدها.. وهناك من أن اختلاف الحكومات مع المعارضين فى العالم كله هو اختلاف "حرامية" أو لاف على الثمن وليس اختلاف مواقف وقضايا ومبادىء.

ل نظام فى دول العالم المختلفة لا يعزف مقطوعة واحدة.. بل إن فيه أجنحة سارعة من داخله.. وكل جناح يجند حفنة من المعارضة للهجوم على الجناح سارع معه فيبدو الأمر كما لو أن المعارض يهاجم الحكومة بينما هو فى واقع ر يهاجم جناحاً فى الحكومة لصالح آخر.. فهذا منهج فى المعارضة نشأ فى ب على يد رجال الأعمال والشركات الكبرى وانتقل إلى الحكومات والأنظمة لدول الكبرى ثم راج فى دول العالم الثالث التى ترى بمنطق الببغاء أن الغرب لنموذج الأسمى والأمثل للحرية والديمقراطية.

لحكومات لم يعد يضرها أن تذبح المعارضة ما دامت لا تعض.. فالحكومات ت مسبقاً أسنان المعارضة وتركت لها حرية النباح.. والنباح بلا عض مفيد.. عوب تسمع نباح المعارضة فتنام بأمان.. بينما لا تعلم أنه نباح بلا عض أو هو بالأجر حتى يأمن الناس فيناموا ويسرق اللص أيضاً فى أمان.

وإذا خيرتنى بين اثين من المنافقين فإننى أفضل الموافق المنافق.. على المعارض المنافق فالأول واضح ومكشوف ومفضوح وليست له سوق ولا زبائن.. أما الثانى فهو خطير للغاية لأنه مستتر وخفى وزبائنه بالألوف ولا يعلمون أنهم يتزاحمون على بائع سم ومروِّج سلع مغشوشة.. وهذا المعارض المنافق هو نجم العصر الحالى وهو المطلوب فى الأرض والفضاء وهو الذى يثرى ويتربح من معارضته أضعاف ما يكسب الموافق من موافقته.. وإلا.. ما هو السر فى أن تسعين فى المائة من معارضى هذا الزمان من أصحاب الملايين والمليارات؟ السر أن تجارة الفكر والمواقف والسياسة هى الأكثر ربحاً الآن.. السر أن المعارضة هى الموضة وهى آخر صيحة فى السياسة.. أما الموافقة والتأييد فهما كما قال لى صديقى الأديب المعارض مخجلان ويوصم صاحبهما بالتخلف والنفاق وينبذه زملاؤه الذين يعتصم ويتظاهر معهم ضد الحكومة أو أحد وزرائها.

والمشكلة أن الحكومة.. أى حكومة والمعارضة ليست لديهما برامج ولا قضايا ولا هم لذلك يعتمد الطرفان على نظرية الإعلام النازى أو الشيوعى وهى نظرية إعلام التعبئة والحشد والكلمات الكبيرة التى تصلح لزمن الحروب من أجل تعبئة وحشد الجماهير بصرف النظر عن المضامين والمدلولات والمعانى.. لذلك نسمع ونقرأ عبارات تثير الضحك ولا تثير الحماس لأنها مستخدمة فى غير زمانها.. مثل المصداقية والشفافية والنزاهة والضرب بيد من حديد والملاحقة.. وتكرار هذه الكلمات والجمل أفقدها معانيها وفرغها من مضمونها.. تماماً مثل كلمات بوتين عن الديمقراطية والإصلاح وحقوق الإنسان والحرب على الإرهاب.. فكلها كلمات حق يراد بها باطل.. وتبقى الشعوب بين الموافقين والمعارضين مثل الزوج المخدوع آخر من يعلم... هذا إذا علمت.. لأن المسرحية محبوكة بشكل يجعل الشعوب تصدق الكذب وتموت مخدوعة.. وسعيكم مشكور!!

من فسر حصد!

اكثر مايحزننى على نفسى وعلى الناس فى زماننا أننا لم نعد نندهش.. لم نعد نشعر بالصدمة ولم نعد نفاجأ.. وبالتالى ومع الوقت لم نعد نستنكر ولا ندين ولا نشعر بالسخط.. واختفاء مشاعر الدهشة والصدمة والاستنكار يؤكد أننا فقدنا عذريتنا وأن التآلف مع الخطأ والفساد فض بكارتنا وقتل حياءنا واسودت وجوه كانت تكسوها حمرة الخجل لأقل هفوة.. وقلوب كان يجرحها الاعوجاج.. وحل التبرير والتفسير والتماس الأعذار المفسدين محل التبرم والنبذ والاستبعاد.. ولم يعد أحد يشعر بالخزى والعار لأن أباه أو أخاه أو أحد أقاربه "رد سجون" أو حرامى أو فاسد.. وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً.. وبلغ الأمر حداً صار معه الفساد من أهم أوراق الاعتماد وابرز مسوغات النجومية والتميز وتقدم الصفوف حتى خسر من يراهنون على أن كشف جرائم المفسدين يعنى اقصاءهم من مواقعهم.. وكسب المراهنون على أن الفاسد سيزداد تألقاً وسطوعاً وصعوداً إلى أعلى.. وقيل إن الفساد فى العالم أصبح أهم وأبرز آليات ووسائل توزيع الثروة.. وإن من فسد حصد ومن زرع كسد.

والفساد صار أكثر تقدماً من وسائل وطرق تشخيصه وعلاجه.. فنحن لا نرى الفساد ولا نسمعه ولا نلمسه ولا نتذوقه ولم تعد تدرك الفساد سوى حاسة واحدة من الخمس هى حاسة الشم.. فنحن حتى إذا كنا نعانى الزكام والانفلونزا نشم رائحة الفساد الكريهة فى كل ركن.. لكن حاسة الشم لا تصلح فى رأى القانون دليل ادانة للفساد والفاسدين.. والقانون لا يعترف إلا بالأوراق وهناك جيش عرمرم فى خدمة الفاسدين مهمته غسل الأوراق وتبييضها.. وهناك جيش جرار آخر فى خدمة الفاسدين مهمته طمس الأدلة وتركيب "العراوى" فى قميص القانون لتنفذ منها أزرار الفساد.. والقانون الذى ظل طوال عمره يتباهى بأنه لايحمى المغفلين أصبح مغفلاً كبيراً.. بل هو سيد المغفلين.. ويحصل الفاسدون على البراءة ويهتفون ويهتف أعوانهم: يحيا العدل وعندما يعطيهم العدل ظهره يخرجون له ألسنتهم سخرية من تغفيل وبلاهة العدل والقانون الذى صارت عينه بصيرة ويده قصيرة.

ولا نريد أن نقع فى الفخ الذى ورثناه من أيام الاشتراكية والذى كاد يقنعنا بأن

ء هم الفاسدون وأن الفقراء هم الشرفاء.. فذلك قول يجب أن نتعامل معه شديد لأن الفساد ليس طبقياً ولا فئوياً كما أنه ليس مالياً فقط فهو أيضاً سلوكى واخلاقى.

سدون الكبار أو الأغنياء لا يفسدون بأيديهم.. وكلما كبر الفاسد فى موقعه ت جيوبه اصبح بامكانه أن يستعين بمئات وألوف من الفاسدين الصغار ، ليفسدوا له ويسرقوا وينهبوا ويغشوا ويرتشوا من أجله.. فالبلطجى الذى الفاسد الكبير.. هو أساساً فقير وصغير ارتضى أن يبيع جسمه القوى بثمن يحمى امبراطورية الفساد.. والرجل الذى يسلم جسده بقروش معدودة لا فى كثير أو قليل عن المرأة التى تسلم جسدها لمن يدفع.. والموظف الذى على مائة جنيه رشوة ليمكن الفاسد من تهريب مليون جنيه.. هو أصلاً صغير فسد من أجل الكبير.. والشاب الذى يحصل على عشرة آلاف جنيه سجيناً بديلاً لفاسد كبير.. هو فى الأصل فقير وصغير باع حريته وكرامته الفلوس.

 كله وغيره لا يسقط الفاسدون الكبار ولا تصل إليهم يد القانون القصيرة ن فى مأمن لأن هناك مئات من الفاسدين الصغار والفقراء يسقطون بدلاً يوقعون الأوراق بالنيابة عنهم.. وينفذون أوامر شفهية من الكبار بالإفساد.. ـر الشفهية ليس عليها دليل.. لذلك يسقط دائماً من نفذ الأمر لا من .

كمة تقول إن الخاسر من باع آخرته بدنياه وذاك هو الفاسد الكبير الذى لآخرة كلها ليكسب بعض الدنيا.. لكن الأكثر خسراناً والأكثر حماقة هو من خرته بدنيا غيره.. وذاك هو الفاسد الصغير الذى باع كل آخرته ليأخذ الكبير الدنيا.. أى أن الفاسد الصغير الفقير باع الآخرة لحساب غيره فخسر ن وإذا أردت أن تعرف المفسدين الصغار الفقراء فانظر إلى بلطجية بعض الأعمال والفنانات والموظفين المرتشين وصبيان وناضورجية تجار المخدرات هلاتية والقوادين ومحامى الزواج العرفى وترزية القوانين الذين يفصّلون ريعات على مقاس الفاسدين الكبار والمحاسبين الذين يغسلون الأوراق ة.. كل هؤلاء وغيرهم فاسدون صغار فقراء رضوا بالفتات والعظم ليحصل د الكبير على الكعكة كلها والخروف كله.. أى أن هؤلاء الفقراء باعوا آخرتهم غيرهم وذلك هو الخسران المبين.

 العبث أن يتحدث العالم كله عن مكافحة مايسميه الإرهاب بينما لم يتحدث عن مكافحة الفساد.. بل إن فى العالم الآن مايشبه تشجيع الفساد والتصفيق

له.. وهناك عقد غير مكتوب يبيح للناس أن يفسدوا ماشاء لهم الفساد ماداموا ليسوا إرهابيين ولا متطرفين.. ففى الفساد لابد من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة لإثبات الجريمة.. لكن فى الإرهاب لا مانع من أخذ الناس بالشبهات والظن والتخمين.. رغم أن الفساد والإرهاب قرينان وشقيقان ولا غنى لأحدهما عن الآخر.. لكن الفساد هو الأخ الأكبر.. وهناك من يقول انه الأب الشرعى والصلبى للإرهاب والتطرف.. فكل من الفساد والإرهاب يقف عند طرف من الحبل ويتبادلان الشد والفساد يبدأ أولاً وكلما اشتد الفساد اشتد الإرهاب والتطرف والغلو والتاريخ يقول لنا إن الزهد والتصوف والأخشوشان والعزوف عن الدنيا ومافيها واعتزال الناس والتشدد والتطرف.. كل ذلك ظهر فى أشد فترات الدولة الإسلامية مجوناً وفساداً واسترخاء ودعة عندما كثر الغلمان وامتلأت القصور بالمحظيات وصار الخلفاء ألعوبة فى ايدى الغوانى والجوارى.. والمأساة الكبرى أن يصل الفساد إلى الذروة حتى يصبح القاعدة ويصبح العفاف والتطهر استثناء وشذوذاً ويتحول العالم كله إلى قرية سدوم.. أو قرية قوم لوط الذين فشا فيهم الفساد حتى صار قاعدة وقالوا: أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون.. فقد بلغ بهم الفحش حد اعتبار المتطهرين شاذين عن القاعدة فنادوا بإخراجهم من القرية.. فويل لنا من الفاسدين الصغار قبل الكبار وياخوفى من أن يصبح عاليها سافلها كما جرى لسدوم!

سياسة الخيار..
واقتصاد السوء!

كنا زمان أجيالا قادمة تقول الحكومات إنها تعمل من أجلها.. وأصبحنا أجيالا غابرة ومازالت الحكومات تقول إنها تعمل للأجيال القادمة.. واكتشفنا متأخرين جدا أن هذه الأجيال القادمة لا تأتى أبدا.. وهكذا عرفنا أن النظرية الاقتصادية والسياسية التى اخترعها العرب وحدهم هى نظرية انتظار مالا يأتى.. هى نظرية جعل الشعوب فى حالة انتظار بلا نهاية.. وفى حالة أمل لا يتحقق.. والنجاح الحقيقى فى رأى أى حكومة عربية هو أن يظل الناس يحلمون وهم نيام ويحلمون وهم مستيقظون.. ويحلمون قياما وقعودا وعلى جنوبهم "ويحلمون على روحهم".. لأن النظرية العربية تقول إن تحقيق أحلام الشعوب يعنى انتهاء دور الحكومة وفقدها لصلاحيتها.. لكن بقاء الآمال فى خانة السراب يعنى تمسك الناس بالحكومة لتنفذ مواعيد عرقوب التى قطعتها على نفسها.

وعندما ترحل أى حكومة عربية قضاء وقدراً كالعادة تأتى الحكومة الوارثة لتبدأ الأحلام من جديد وتهدم أحلاما وإنجازات حققتها الحكومة الراحلة وتدور الثيران التى هى الشعوب فى ساقية السراب وعلى العيون غشاوة وفى الآذان وقر وتظل نغمة العمل من أجل الأجيال القادمة التى لا تأتى هى السائدة.. والمهم ألا يفقد الناس الأمل وألا تفقد الحكومة الكراسى.. ولذلك لا يموت الناس فى أمتنا من اليأس وإنما يموتون من الأمل وأحيانا يموتون من الضحك.. ولا يموتون أبدا من البكاء.. ولعل ذلك هو حل اللغز وإجابة السؤال الذى يتردد دائما لدى القلة التى لديها رءوس لماذا نحن العرب وحدنا نعيش حالة هدم مستمرة..؟ لماذا تنحصر كل إنجازاتنا وبطولاتنا فى هدم ما سبق؟.. لماذا نحن فى حالة شطب متواصل لما كتبه السلف دون أن نضيف سطرا واحدا؟

وتظل الأمثلة تدق الرءوس القليلة المتبقية فى هذه الأمة: لماذا نحن مغرمون دائما بعبارة: هيا نبدأ صفحة جديدة؟.. وعهدا جديدا؟ ومرحلة جديدة؟.. لماذا كله جديد فى جديد.. بينما كل الشواهد تقول إنه لا جديد وأن جديدنا قول بلا فعل؟

حل اللغز أن كل ما يحدث فى هذه الأمة فوقى.. على مزاج الأنظمة ولا علاقة للشعوب بما يجرى لأن الشعوب مخطوفة بفعل فاعل ومسجونة فى آمالها الكاذبة

ا الغائب.. الشعوب أصبحت مجرد قميص عثمان الذى ترتديه كل حكومة.. تحدث باسم الناس.. بينما الاسم لطوبة والفعل لأمشير.

ا يتمدد الناس وينكمشون تبعا لدرجة حرارة الحكومة.. فإن كانت ساخنة ا وإن كانت "ساقعة" انكمشوا.. ولا تحرس الشعوب إنجازات ومكاسب ت.. فهى تغنى للاشتراكية مثل الكورس إذا كان مطرب الحكومة اشتراكيا.. غنى بنفس الحماس للخصخصة واقتصاد السوق "السوء" إذا كان مطرب مة رأسماليا.

عوب فى أمتنا مجرد مجاميع كومبارس "الواحد خمسة جنيهات".. تمر أمام را لتهتف للبطل وتحمله على الأعناق.. والبطل يتغير فى كل فيلم أو مسرحية لجاميع لا تتغير.

احثون عن عيوب فى النظرية.. أى نظرية يتعبون أنفسهم "على الفاضى" لأن يات والأفكار ليس فيها عيب.. فالاشتراكية نظرية جيدة ومثالية.. والماركسية جميلة ورومانسية.. والرأسمالية واقعية وجيدة.. لكن المشكلة عندما تنزل ر من سماء النظرية إلى أرض التطبيق.. وعندما تزرع الأفكار والنظريات فى ربتها وعندما يطبق الاشتراكية رأسماليون أو يطبق الرأسمالية اشتراكيون.. ود النيام النهضة واليقظة أو يقود الأعمى البصير.. وأنت ينبغى أن تضحك تستلقى عندما تعرف أن قادة الاشتراكية وأمناء الاتحاد الاشتراكى وأعلام رعية فى أمتنا خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى هم أنفسهم سهم ودمهم الذين يخصخصون ويمصمصون ويقودون اقتصاد "السوء" الآن.. شعرب العربية بلا ذاكرة ولأنها ترى أن النسيان نعمة.. والحكومات فى أمتنا ت الرهان بجدارة على ذاكرة الشعوب الضعيفة أو المعدومة.. لأن النظريات ا تطبق على الموضة.. فإذا كانت "موضة السنة دى اشتراكية إديها اشتراكية" كانت الموضة خصخصة.. إديها رأسمالية وليبرالية.. وكلام كبير أراهن أن م مردديه لا يفهمونه.. والخلاصة أن النظريات والأفكار مجرد حمير يركبها ض للوصول إلى هدفه.. فقد سرق الرأسماليون الاشتراكية ثم سرق تراكيون الرأسمالية.. وكل الذين صاروا الآن رجال أعمال جمعوا ثرواتهم من اع العام فقد كانوا خدما فى بلاط الاشتراكية ثم سرقوها وطاروا بالغنيمة نيا الرأسمالية.. واقتصاد السوء.. الذى يرى أن الحرامى هو سارق "الفرخة" سارق الجمل فهو بطل مغوار لذلك قالت الشعوب منذ قديم الزمان "إن سرقت ق جمل" لأن المسروق منه الجمل هو المخطىء والمغفل.. ولم يقف الأمر عند يع من يسرق الجمل بل وصل إلى الهتاف لمن سرق ونشل مترو الانفاق الذى لم ه أحد حتى الآن.

وما يحدث فى الاقتصاد يحدث فى السياسة.. فقد قال العرب يوما: لا صوت يعلو على صوت المعركة وقالوا: لا صلح ولا تفاوض ولا سلام مع إسرائيل.. ويقولون اليوم إن السلام هو الخيار الاستراتيجى.. والناس لا يفهمون معنى الاستراتيجى ولكنهم يعرفون الخيار جيدا ويعرفون "الفقوس" أيضا.. وفى الحالتين كان العرب يقولون ما لا يفعلون ويعطون مالا يملكون.. فلا صوت يعلو على صوت المعركة كان شعار القمع والتنكيل بالشعوب.. والسلام ليس بأيدينا ليكون خيارنا.. فنحن لم نختر الحرب.. ولن نختار السلام.. والخيار لدى إسرائيل التى كلما ضربت واجتاحت وقتلت نقول لها: ولو.. السلام هو خيارنا الاستراتيجى.. والشعوب هتفت للحرب.. وتهتف الآن للسلام.. أى أنها تتمدد وتنكمش فى السياسة كما فعلت ذلك فى الاقتصاد.. وما يحدث فى الاقتصاد والسياسة هو نفسه التطبيق الأمين للنظرية العربية.. انتظار ما لا يأتى.. فلا السلام يأتى ولا النصر قادم ولا الحرب تندلع.. ولا الرخاء يتحقق.. لكنه السراب فى كل الأحوال.. لذلك قال الحكماء إن تحقق الأمل راحة واليأس أجدى الراحتين.. وتحياتى للأجيال القادمة!

الماشطة فشلت
مع الوحش العكر!

لم أجد وقتا للبحث فى معاجم اللغة عن معنى كلمة لجنة وأصلها وفصلها.. لكنى أعرف أن حرفى اللام والجيم معا يعنيان اللجاجة.. ويلج فى القول أى يلح ويثرثر.. كما أعرف اللجين أى الفضة.. ولا استطيع إيجاد علاقة ما بين كل هذا وكلمة لجنة.. وكل ما ترسخ فى وجدانى عن كلمة لجنة أنها كلمة كريهة وسيئة السمعة.. وأنك إذا أردت أن تقتل قضية رأى عام وموضوعا جماهيريا يثير ضجة ولغطا فشكل له لجنة.. واللجان أنواع وأنت حر فى اختيار أى منها لقتل قضية ما.. فقد تكون لجنة عليا أو فرعية أو منبثقة أو منبصقة أو لتقصى الحقائق أو للاستماع.

والمهم ان اللجان هى مدافن انيقة ومقابر جماعية للقضايا المهمة.. ووظيفة اللجان إخراس الألسنة واسكات الأقلام التى تتناول موضوعا ما.. فالحجة أننا شكلنا لجنة وعليك أن تسكت وتخرس حتى تظهر نتائج عمل اللجنة.. وهى دائما لا تظهر لكنها تنجح تماما فى مهمتها وهى دفن القضايا والمشاكل حية.

وقد سمعت رقما غريبا من أحدهم حيث قال ان هناك مليار جنيه سنويا يتم صرفها كمكافآت لاعضاء لجان تتشكل فى كل مجال.. وعرضت الرقم على خبير آخر فقال ان الرقم الحقيقى أضعاف ما قيل لك.. وقال ثالث انه أقل من ذلك بكثير.

ولكن ما أعرفه أن هناك محترفى لجان ورزقهم كله من حصيلة مكافآت اللجان التى يشاركون فى عضويتها.. وهم يخرجون من لجنة ليدخلوا أخرى.. وغالبا ما تكون المكافآت مقابل مهمتهم الأساسية وربما الوحيدة وهى دفن القضايا فى دفاتر النسيان.

وقد عرف العالم هواية اللجان عند العرب وانها وسيلة ناجحة جدا لقتل قضاياهم فشكل لهم لجانا تساعدهم فى دفن القضايا ومنها اللجنة الرباعية الدولية المعنية بقتل عملية السلام.. وشكل العرب بأنفسهم لجنة القدس التى أدت مهمتها بنجاح وأصبحت القدس ولجنتها فى خبر كان.. كما أذكر أن العرب بعد حرب الخليج الأولى شكلوا لجنة لما سموه تفعيل إعلان دمشق.. ويومها عرفت ان إعلان دمشق تم دفنه وتشييعه غير مأسوف عليه.. والمضحك أن اللجنة الرباعية

كانت تسمى عند تشكيلها المجموعة الرباعية لكن العرب سموها لجنة
هواياتهم.

لة لا تخص اللجان فقط لأن هناك هواية عربية أصيلة اسمها هواية إبراء
فعندما يكون هناك أمر خطير أو قضية ملحة أو ضغوط دولية حول
ما يبادر العرب إلى إبراء ذمتهم بتشكيل لجان أو مجالس قومية أو حتى
كاملة ليظهروا للعالم اهتمامهم بالموضوعات وحدث هذا عندما انتشرت
ل العربية فجأة مجالس وهيئات ولجان لحقوق الإنسان تجتمع وتنفض
مكافآت وتكتب تقارير وتسدد خانات وتجمع بلا طحن.

هذا عندما استحدث العرب وزارة للبيئة واجهزة لحماية البيئة.. لكن
بة السوداء التهمت فى مصر حتى الان ثلاثة وزراء للبيئة والرابع فى
.. وأعلنت التحدى لكل من يتصدى لحماية البيئة.. وبقيت الوزارات العربية
بالبيئة مجرد نصب تذكارى ولافتة يرفعها العرب أمام العالم بأنهم مهتمون
. لكن البيئة تزداد تلوثا وحقوق الإنسان شبعت إهدارا وانتهاكا.

ما تستعرض اللجان والمجالس والوزارات فى العالم العربى تصاب بالدوار.
زحام فظيع فى هذه المؤسسات الورقية.. أو المبانى بلا معان.. ولا تكاد
ورا أو مهمة لكثير من الوزارات.. وازداد الأمر إثارة للسخرية والسخط معا
وجدنا مسئولين كثيرين يطالبون بمزيد من الوزارات تعبيرا عن الاهتمام
عات معينة.. فقد سمعت كثيرا من يطالب بوزارة المرأة وبوزارة للطفل..
هر من يطالب بوزارة للرجل وبوزارة للعواجيز.. بينما لم يشف غليلنا أحد
لنا ما هى مهمة وزارة الشباب؟ وما هو عمل وزارة التموين؟ وما معنى وزارة
الدولى؟.. وما مدى التداخل وتنازع الاختصاص بين عدة وزارات؟.. وماذا
ن وزارة مثل القوى العاملة؟ وماذا حدث عندما فصلنا وزارتى التربية
م والتعليم العالى؟ وما الذى يحدث لو جمعنا كل هذه الوزارات وغيرها فى
لاستيك والقيناها فى النيل؟ لن يحدث شىء سوى أننا فقط سنلوث النيل؟

الة كلها لا تتعدى الاهتمام بالشكل لأن المقياس عندنا هو العدد فى الليمون..
أن يكون هناك ديكور جميل حتى إذا كان البيت كله آيلا للسقوط.. المسألة
لية بحتة ولا علاقة لها بالمضمون.. ليس المهم ان يكون فى الجمعية
هلاكية دجاج مذبوح أو حى أو معبأ أو سائب.. والمهم أننا منظمون وأن
ية مكونة من خمسة طوابق وفى كل طابق مدير ومسئول علاقات عامة يدلك
طابق الذى فيه ما تريد حتى إذا لم يكن طلبك موجودا.. المهم ما رأيك فى
؟

كل شىء فى هذه الأمة ديكورى وتجميلى حتى المعارضة والأحزاب ومؤسسات المجتمع المدنى.. لكن الماشطة تعبت وزهقت ولا تستطيع ان تفعل شيئا للوش العكر.. والقماشة "اتهرت" فمرة تفصلها لجنة ومرة تصنع منها مجلسا ومرة تقبلها وزارة.. ويدوخ المواطن العربى السبع دوخات ليعرف تفسيرا للائحة أو قانون أو اختصاصات لجنة أو مجلس أو وزارة.

ونفس لعبة إبراء الذمة التى نطبقها على تشكيل اللجان والمجالس والوزارات نلعبها فى اصدار القوانين حتى قيل لى يوما منذ سنوات طويلة ان مصر على سبيل المثال بها ستة وثلاثون ألف تشريع وقانون أى ان هناك قانونا لكل ألفى مواطن.. والرقم قيل لى منذ سنوات بعيدة وبالتأكيد أصبح الخير التشريعى والاسهال القانونى عندنا أكبر وربما تضاعف ورحم الله الفقيه الكبير الدكتور عبدالرازق السنهورى الذى قال منذ أكثر من نصف قرن ان البلد أصيب باسهال قانونى.. فماذا يمكن ان توصف به الحال الآن؟ لابد ان التعبير الأنسب هو أن "بطن المشرعين ماشية".

والخلاصة أن كل هذا الجيش العرمرم من اللجان والقوانين والمجالس والوزارات مجرد فض مجالس وديكور واسكات لمن يتكلمون أو يثيرون أى قضية ولعب متواصل ورهان رابح على ذاكرة الناس الضعيفة.. فالحكومات فى الدول العربية تراهن وتربح فى لعبة كسب الوقت والاعتماد على الزمن فى تذويب أى قضية وقتل أى حماس لموضوع ما.. ودائما تنجح لأن الناس فى عصر الصورة لم يعد يعنيهم المضمون فى الفن أو السياسة أو الثقافة.. وانما يشغلهم الشكل والخضرة والماء والوجه الحسن حتى إذا كان كل هذا مصنوعا وكاذبا.. وعندما وصف أمير الشعراء أحمد شوقى على لسان كليوباترا الشعب بأنه ببغاء عقله فى أذنيه.. لم يكن قد ادرك عصر الصورة وإلا لقال عن الشعب العربى الآن: يا له من سرى بوم عقله فى مقلتيه.

كلوا بامية وانتخبوا "أبو رجل مسلوخة"!

لا الفائز يستحق الفوز ولا الخاسر يستحق الخسارة فى الانتخابات العربية.. ولكن رزق الهبل على المجانين والهبل هم المرشحون والمجانين هم الناخبون.. والمرشحون فى موسم الانتخابات يتحولون إلى متسولين ينتظرون صدقات الناخبين.. والناخب يلعب "كلوا بامية" ويدس صدقته دائماً فى يد متسول لا يستحق.. والمرشح يتدرب طوال الموسم على أن يكون ممثلاً لـ "الشعب" وبقدر ما يتقن دوره فى التمثيل.. يحصل على تصفيق وتشجيع المجانين.. وعندما يفوز المرشح الممثل يتحول الناخب إلى متسول ينتظر صدقات الممثل.. وهى صدقات لا تأتى أبداً.

وفى موسم الانتخابات تسود ثقافة الزحام ومنطق الأعلى صوتاً والأقدر على الدفع.. والمرشح ليس لديه فكر ولا برنامج ولا حزب.. والناخب ليس لديه عقل يستوعب فكراً وبرنامجاً.. والنتيجة أن "الحدق يكسب".. والمسألة شخصية بحتة وفردية محضة ولا تصدقوا أن هناك أحزاباً أو تيارات سياسية متصارعة فى الانتخابات.. ولكن هناك صراعات شخصية وفردية بلغت حد تنافس الأشقاء وأبناء العمومة وأفراد الأسرة الواحدة على الكعكة "الحمضانة".. وتحول الجميع إلى أبناء "الدايرة".

وفى قراءة سريعة للسيناريو الانتخابى عندنا تجد العجب وتضحك حتى تبكى وتكتشف أنك أمام مسرحية هزلية وعمل درامى مهلهل.. وتتأكد أن خوض الانتخابات باسم أحزاب أو تيارات سياسية مجرد لافتات لا معنى لها.. فالوطنى ينافس الوطنى والغد ينافس الغد.. والوفد ضد الوفد.. والإخوان المسلمون يدخلون أى انتخابات على طريقة اليهود.. فهم يستدرون عطف الناخب "العبيط" بعقدة الاضطهاد وأنهم ضحايا النظام وكانوا دائماً ضحايا محارق ومشانق وسجون.. وقد مكنهم النظام طوال كل العهود من الصعود فى الشارع حين خاف منهم ولم يمنحهم الاعتراف.. مع أن المنطق البسيط يقول: إذا أردت أن تحرق معارضاً فاشركه فى السلطة.

ومرشحو الحزب الوطنى الذين يستبعدهم الحزب من قوائمه يبيعون حزبهم بلا مقابل ويدخلون الانتخابات تحت صفة "مستقل" وإذا فازوا يعودون إلى الحزب

ة لأنهم فى الغالب مجروحون ولا يطيقون البعد عن مظلة الحزب التى
يهم أو تحمى أخطاءهم وخطاياهم.. وهكذا فقدت "صفة مستقل" معناها
، لتصبح مثل صفة العامل أو الفلاح التى لا يعرف أحد معناها بالضبط..
أن المستقل هو من يتبنى فكراً مغايراً للأحزاب السرطانية الموجودة على
حة لكن المسألة كما قلت لك ليس فيها فكر ولا يحزنون وإنما هى سمك لبن
هندى.

حزب الوطنى لا تزعجه ظاهرة المستقلين لأنه يعلم أنهم "راجعون راجعون"..
، فإن سيناريو انتخابات عام ٢٠٠٠ سيتكرر.. الحزب الوطنى يهدد بفصل غير
مين حزبياً.. ثم يفوز هؤلاء فى الانتخابات ويعودون إلى أحضان الحزب ليقال
مستقلون على مبادىء الحزب الوطنى.. والرهان دائماً هو أن الناخب "ليس له
الطور أو الثور ولا فى الطحين" وتم استخدامه لهدف ما ثم ألقى فى سلة
ملات وهو يستحق ذلك بالطبع لأن لديه البلاهة التى تجعله يلدغ من الجحر
ة مرة.

لإجماع فى ظل الغوغائية والببغائية وثقافة الزحام لم يعد يصلح مصدراً
مريع كما كان فقد كان يقال فى الماضى السحيق إن مصادر التشريع أو الفقه
القرآن والسنة والإجماع والقياس.. لكن الاجماع لا قيمة له الآن فالناس
معون على باطل وعلى فاسد وعلى من يدفع.. والرأى العام مصنوع ومع الرائج
س لدى الناس وقت للتأمل وإعادة النظر ومراجعة المواقف.. فالرأى العام ليس
ماً بذاته ولكن تم تعويمه مثل الجنيه.. ثم تعويمه بقرارات وحملات إعلامية
عائية.. فصار عاماً.. وأعذب الشعارات أكذبها.. والخصمان أحدهما ألحن من
خر لذلك يحصل على حكم البراءة حتى إذا كان مداناً.. والمهم أنه أبلغ وألحن..
ذا يفوز فى الانتخابات "أبو لسانين وأبورجل مسلوخة".. يفوز صاحب الورقات
لاث الذى يلعب بالبيضة والحجر.. والأحزاب الهشة والضعيفة والورقية والتى
تحضيرها فى المعامل وولدت مبتسرة.. تتقوى بالأشخاص وليس العكس..
حزب عندنا يسعد بأن فلاناً انضم إليه ولا يسعد فلان بأنه انضم إلى الحزب..
ذا حال كل كيان عربى.. فالأحزاب فى مصر مثل جامعة الدول العربية التى هى
معف من أى عضو فيها ويبقون عليها كمجرد نصب تذكارى للتضامن العربى
جهول.. والتيارات التى يقال عنها سياسية ليست سوى أندية للمنتفعين الذين
سرخون ويهتفون ضد كل شىء بحثاً عمن يشتريهم.. وعامة الناس مثل الأطرش
، الزفة ومثل الزوج آخر من يعلم.. ومهما تغيرت كل العوامل فإن العامل الرئيسى
يت لايتغير وهو الناخب.. وثبات هذا العامل الخامل يعنى الحكم الدائم ببقاء
وضع على ما هو عليه وعلى المتضرر أن "يخبط رأسه فى الحائط".

والمرشحون أنواع.. منهم من يلعب بالبيضة والحجر ومنهم من يلعب بالفلوس ومنهم من يلعب بالنار.. "واللى تغلب به العب به".. وفى العالم كله لايوجد ممثلون للفقراء فى المجالس النيابية أو السلطة.. لأن السياسة صارت لعبة الأغنياء فقط.. الذين يشترون الحصانة والناخب الفقير مجرد حصان يركبونه إلى الحصانة ثم يعدمونه مثل "خيل الحكومة".

والمهم أن الانتخابات صارت موسماً للخطاطين وأصحاب محال الفراشة ومقاولى الأصوات والسماسرة وتلك هى الميزة الوحيدة للفقراء الذين سيرزقون من الهبل والمجانين معاً.. وفى هذا الزحام لا تسألنى عن أحزاب وتيارات وأجندات انتخابية وبرامج.. بل اسألنى عن عصبيات وقبليات وأفراد يصبحون فوق الرءوس بالفلوس.. وستعود ريمة إلى عادتها القديمة لنرى برلماناً اخر يعيش خمس سنوات جديدة فى حالة طعون مستمرة وفى حالة بطلان وإسقاط عضوية دائمة وفى حالة انتخابات تكميلية كل يومين.. لا شىء يتغير ما بقى الناخب غائب الوعى ليس له فى العير ولا فى النفير.. ينتخب من يضحك عليه بلسانين أو من يشترى ذمته بقرشين.. أو من يخوفه بعينه الحمراء وعبثاً تحاول أن تقول له: صوتك أمانة.. لأنه سيرد عليك: أمانة عليك يا ليل طول وهات الهرم الأول.. لذلك لا يملك الذى عنده قليل من الوعى والحب لهذا الوطن إلا أن يموت من القهر.. "هو العمر فيه كام شهر" ونحن وراءكم والزمن طويل يا أبناء الدايرة.

كروان حيران
بين مسيلمة وأبي جهل

سألت صديقى: لمن ستعطى صوتك فى الانتخابات؟ ودق قلبى بقوة عندما فاجأنى قائلاً: أنا مثل الذى يطلبون منه المفاضلة بين كافر ومنافق.. زلزلنى هذا الجواب وجعلنى أدير دفة الحديث إلى شئون صغيرة تافهة.. واكتشفت حين انصرف صديقى وخلوت إلى نفسى اننى مازلت كما أنا منذ عهد الطفولة والصبا والنشأة الأولى.. مازلت أخشى الاقتراب من أى مصطلح دينى باعتبار هذا خوضاً مع الخائضين.. حتى إذا كان قول صديقى على سبيل التشبيه وضرب الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ويتفكرون.

وأظن وليس كل الظن إثما اننى لست وحدى المصاب بهذه الحساسية وان كل المصريين لديهم نفس الأرتكاريا والشعور "بالهرش" عند أى حديث عن الدين بشكل مباشر أو غير مباشر حتى لو كان الحديث من قبيل استخدام المصطلحات.. لذلك كنت فى عهد الصبا أشعر بنفس الرعب والهلع عندما ينتقد أحد أصدقائى المسلمين شيخ الجامع أو عريف الكتاب أو عالماً أزهرياً.. وكذلك عندما ينتقد صديقى المسيحى أداء قسيس أو سلوك راهب.. فقد تعلمت مثل ألوف غيرى ورُبِّيت على أن رجل الدين هو الدين وان أى ملاحظة عابرة على أدائه وسلوكه تعد طعناً فى الدين ذاته.. تربينا على أن رجل الدين حتى إذا كان "نصف كم" لا ينطق عن الهوى.. وكان آباؤنا وأعمامنا وكبارنا يسألون شيخ الجامع الذى لم ينل أى حظ من العلم عن كروية الأرض ودورانها فيقول ما يخالف العلم ويعتبرون قوله فصلاً.. وكان التعقيب أو حتى محاولة الاستزادة من صاحبنا ضرباً من التمرد والمعصية.. فالأسئلة ممنوعة والحوار حرام.. وكانت القداسة والفضيلة تنتقل من شيخ الجامع الذى كان "ليمونة فى بلد قرفانة" آلياً إلى أبنائه وأحفاده حتى إذا كانوا منحرفين "ومقطعين السمكة وذيلها".. كانوا ينالون الرعاية والاحترام والتقديس وراثة من أبيهم وجدهم.. حتى إذا كانوا بلهاء.

والآن مازلت أشعر بالهلع وبأننى أرتكب معصية رغم أن الحساسية لم تعد بنفس القدر الذى كانت عليه.. فقد عرفت إلى حد ما الآن "الفرق بين الألف وكوز الدرة" وعلمت أن الدين هو الطبلة التى يمكن لأى عابر سبيل أن يجمع بها الناس ويحشدهم ويحركهم بالحق قليلاً وبالباطل كثيراً.. وأن تسعين فى المائة ممن قد

ن ويتحركون باسم الدين وتحت رايته لا يصلون ولا يزكون وليس لديهم ما
القلب وصدقه العمل ولم يذهبوا إلى كنيسة أو مسجد منذ ولدتهم أمهاتهم
رد أدوات فى يد من حشدهم وخاتم فى اصبعه.

بكل أسف صار أحد القمصان التى يرتديها لاعبو السيرك السياسى..
الليبرالية أو الاشتراكية أو الديمقراطية أو غيرها من الشعارات.. لكن
سبح أكثر هذه القمصان موضة وأناقة وقدرة على جذب البنات والأصوات
والنفوذ .. الدين هو أفضل وسيلة للحشد وتحريك الجماهير التى تجهل
للعبة فتقع فى غرام لحية أو نقاب أو عمامة ولا يعنيها الرأس المختفى
مامة.

هير تتعصب للدين مثل تعصبها للأهلى أو الزمالك ولا تفطن للأصابع
فى كواليس مسرح العرائس.. لذلك كثر المنافقون الذين يعجبك قولهم فى
الدنيا وإذا تولوا سعوا فى الأرض ليفسدوا فيها ويهلكوا الحرث والنسل..
ن إن يقولوا تسمع لقولهم وتعجبهم أجسامهم ويحسبون كل صيحة عليهم.

ذين ورثوا الفضيلة والقداسة والهيبة عن الجيل الأول واكتفوا بأنهم وارثون
ا علينا بما مضى وبالتاريخ بينما هم منافقون يصيبون صديقى وغيره من
ن بالحيرة حين يكون الاختيار بين كافر ومنافق.. كثر حتى الزحام لهؤلاء
ل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

فى زمن الخصخصة والاحتكار اعتدنا أن الحكومات والأحزاب الحاكمة
يل الثورة أيام الوفد والملك وبعدها أيام الاتحاد الاشتراكى أو القومى حتى
الوطنى.. كل هؤلاء خصخصوا الوطن واختصروه فى ذاتهم وكياناتهم..
حوا هم الوطن ومن يخالفهم عدو للوطن وخصم للشعب.. وقد كان جدى
الله يقول إن الوفد هو الوطن.. وكانوا يقولون إن الملك هو الوطن وأضيفت
ائماً إلى من حكموها رغم أنها باقية وهم زائلون..

جه الآخر لعملة الاحتكار مثله الإخوان المسلمون وتولاه من سموا أنفسهم
أو الجماعات الإسلامية.. وهؤلاء مارسوا الخصخصة والاحتكار مثل
مات المتعاقبة ولكنهم احتكروا الدين.. فهم وحدهم الدين ومن ليس معهم
ضد الدين.. ومن خالفهم فهو عدو لله والدين.. وأصبحنا نحن الذين ضد
مة وضد الإخوان المسلمين فى الشارع وفى العراء لا وطن لنا ولا دين.. فلا
وطنيون ولا نحن اخوان ولا نحن مسلمون.

خوان المسلمون اكتسبوا قداسة زائفة بالاسم لا بالفعل.. فهم رغم شعاراتهم
جهم تيار سياسى ويلعبون سياسة من منبت الشعر إلى أخمص القدم..

والسياسة لا تمانع ولا تمنع اللعب بالأوراق القذرة.. ولا تمنع المتاجرة بأى مبدأ أو قيمة ولا تحظر ارتداء أى قميص فى سبيل الوصول إلى مقعد فى السلطة.. حتى المقدسات والنصوص المقدسة لا مانع من لى عنقها وتطويقها فى سبيل الفوز فى اللعبة السياسية التى لابد أن يكون لاعبها قذراً وملوثاً لكى يكسب ويصل.. ومن ارتضى أن يكون تياراً سياسياً ويلعب سياسة فعليه أن يواجه الهجوم والنقد وينبغى أن نفضحه ونعريه ونقول ان القناع الأبيض أو الأخضر لاينفى أن الوجه اسود والقلب يحكمه الهوى.

ولم تخدم الحكومات والأنظمة المتعاقبة تياراً سياسياً مثلما خدمت الاخوان حين وصفتهم بالجماعة المحظورة.. فذلك الوصف السحرى جعلهم يكسبون أرضاً وصارت الحكومات فى رأى الشعب الساذج تحظر الدين والإسلام نفسه.. ولا تحظر تياراً سياسياً تسمى باسم الإسلام.

ولم يسأل أحد نفسه لماذا ومن أين كدس الاخوان ملايين العملات.. وكيف لعبوا بورقة الدين فى مأساة توظيف ونهب وتنظيف الأموال.. وكيف كان التحالف شيطانياً بينهم وبين كبار فى الحكومات المتوالية وراح ضحيته البسطاء الذين فقدوا قروشهم القليلة وماتوا بحسرتهم.. والاجابة دائماً هى ان الدين منوم مغناطيسى يستخدمه بعض الحواة لجرنا وسحبنا إلى حيث يريدون.. الدين أى دين سواء كان المسيحية أو الإسلام أو اليهودية أصبح لدى حواة هذا الزمان طريقة للتحريض وحشد القطيع الأبله من الجماهير.. الدين الذى هو غاية الغايات صار لدى هؤلاء وسيلة لتحقيق غايات رخيصة.. وقطعان الجماهير لها الظاهر لأن هذا ليس زمن التأمل والتدبر والتفكر والمراجعة وإعادة النظر.

الدين الذى ينبغى كما أراده الله أن يتغلغل فى كل تفاصيل حياتنا سجنوه فى صفحات دينية بالصحف ودراما دينية ومناسبات دينية وجماعات دينية.. وخارج هذه الزنازين الكثيرة لا يوجد دين رغم أن الكلام فى الحب معناه الأسمى منتهى التدين.. والأداء المخلص للعمل غاية التقوى.. ووصل الأمر فى مسلسل الاحتكار إلى النزاع بين الاخوان المسلمين والحزب الوطنى على شعار الإسلام هو الحل حتى ان أحد مرشحى الحزب الوطنى علق لافتة عليها شعار القرآن هو الحل.. وكل ذلك من أجل اللعبة السياسية التى يلعبها الاخوان فى النقابات والبرلمان وكل الانتخابات بنفس القذارة التى يمارسها الآخرون من الحكومة أو المعارضة.. فالاخوان أيضا يشترون الأصوات بالفلوس ويتحالفون مع شياطين الإنس من الحكومة والمعارضة للفوز بمقاعد البرلمان.. فلا مانع من أن "يتلم الشامى على المغربى ويتحالف عنب الشام وبلح اليمن.. ومسيلمة وأبو جهل فى سبيل كرسى البرلمان أو قطعة من كعكة السلطة"..

ن على أن الانتخابات البرلمانية القادمة ستسفر عن تغيير ومفاجآت
م لا يعقلون.. فهم يدعمون رهانهم بأن حراكاً سياسياً هائلاً قد حدث
، القضائى على العملية الانتخابية كامل وان المجتمع المدنى سيراقب
مارت غير الدنيا.. أما أنا فأراهن على أن الناخب كما هو لم يتغير وان
أو ميت وان أحداً لم يزيف إرادته فى أى انتخابات سابقة لأنها مزيفة
ه دائماً مخدوع فى مسيلمة وأبى جهل ولا خيار أمامه سوى أن يعطى
مة أو لأبى جهل.. والمهم من يدفع منهما أكثر.

ب أنا كروان الحيران الرهان على أن العطار لا يصلح ما أفسده الدهر
هى الدنيا لم تتغير.. لأن الناخب خاضع لاحتلال لا يزول.. تحتله
اجلة ويحتله فقره وعوزه وبطالته ويحتله احساس موروث بأن كل من
م الدين هو الدين ذاته.. وأن مخالفته كفر ومعصية حتى إذا كان
ذاب.. "وبكرة نقعد على الحيطة ونسمع الزيطة أو العيطة".

الأستاذ والباشمهندس والحاج!

ستون فى المائة أو يزيد من لافتات الدعاية لمرشحى مجلس الشعب يسبق اسم المرشح فيها لقب الحاج.. وهذا اللقب أصبح شائعاً الآن بشكل كاسح.. ويطلق على المسلم والمسيحي.. وكل الناس ينادونك يا حاج سواء كنت محمداً أو بطرس.. وسواء كنت طبيباً أو محامياً أو متسولاً أو ماسح أحذية.. وسواء أديت المناسك أو لم تؤدها.. إنه مجرد لقب لا علاقة له بالإسلام أو أى دين.. مجرد لقب من طوفان الألقاب التى لا نكف عن اختراعها مثل نجمة الجماهير أو نجمة مصر الأولى أو صاروخ الكوميديا أو ساحر الكرة المصرية أو العميد أو الزعيم.. حتى فقدت الألقاب معناها ومضمونها وصارت مدعاة للسخرية مثل السيد الوزير اللواء المحافظ إذا صح الترتيب الذى كتبته.

وقد بدأت الألقاب التى تسبق الأسماء أو تليها منذ الخليفة العباسى الثانى أبى جعفر الذى لقب نفسه أو لقبوه بالمنصور بينما لم يعرف الخلفاء الأمويون هذه الألقاب.. وتوالت الألقاب بعد أبى جعفر لتلحق بالمهدى والهادى والرشيد والمعتصم والمتوكل وغيرهم.. وكان الأمر مقصوراً على الخلفاء واستمرت الحال حتى أسرف الفاطميون فى الألقاب الملحقة بالأسماء وتجاوزت الألقاب الخلفاء لتلحق بالوزراء ورجال الدولة.. وبالغ المماليك فيما بعد لتمتد الألقاب إلى العلماء وأهل الصنائع ولم يعد اللقب واحداً بل صار صفحة كاملة لتسبق الاسم مثل العالم العلامة الحجة الفهامة خادم القرآن وحامل الاختام وسليل الأمجاد ورفيع الشأن و المقام الفقير إلى ربه تعالى فلان بن فلان إلى الجد السابع.

ويقال إن الإسراف فى الألقاب مع الأسماء تقليد فارسى أخذه العباسيون من الفرس بحكم أن دولتهم قامت على أكتاف أهل فارس وبحكم النسب والمصاهرة بين الطرفين.. بينما يقول رأى آخر إن الألقاب الكثيرة للاسم الواحد ظاهرة فرعونية تأصلت فى المصريين وأن أهل مصر هم الذين علموا الفاطميين والأيوبيين والمماليك حكاية الألقاب فأعجبتهم واعتمدوها «وساقوا فيها».

وليس عندى توثيق لأى من الرأيين ولكنى أميل إلى الرأى الذى يقول إن المصريين هم أول من اخترع الألقاب الطويلة للاسم الواحد على أساس أنها نوع

ل للفرعون الإله أو ابن الآلهة.. وإن الإله البشرى الذى عبدوه لابد أن
ات الأسماء والألقاب التى تضفى عليه المهابة والجلال.

أن هناك شعباً لديه إسهال فى الألقاب مثل شعبنا.. حتى الألقاب
ى تسبق أسماء نجوم الحكم والسياسة والفن والرياضة العرب.. يعود
ى إطلاقها واختراعها للمصريين.. وعندما قرر ضباط ثورة يوليو عام
اء الرتب والألقاب لم يكن المقصود على ما يبدو إلغاءها.. بل المقصود
جانية ومشاعاً لكل من هب ودب وشاب وشب.. فقد عدنا إلى الرتب
وإلى معالى الوزير والباشا الضابط والبيه البواب والباشمهندس السباك
الملهم والرئيس المؤمن والمسئول الذى ينطق بالحق والحكمة ولا يأتيه
ن بين يديه ولا من خلفه.

ستينيات عندما كانت مصر «بلد شهادات» كان لقب الأستاذ فى القمة..
صل عليه ويفتخر به كل من ارتدى قميصاً وبنطلوناً أو قفطان الأزهر حتى
طالباً.. وفى حقبة الانفتاح تراجع الأساتذة من كل صنف ولون عن موقعهم
ة وتركوه للحرفيين من السباكين والنجارين والميكانيكية وأشكالهم.. وانزوى
ستاذ ليحل محله لقب الباشمهندس.. وصار يطلق على المحامى والصحفى
.. وكان من لا يعرف اسمك يناديك.. يا باشمهندس مهما كانت صنعتك..
مانينيات وحتى إشعار آخر لا أظن أنه سيأتى قريباً.. تراجع الحرفيون عن
أو تحول عدد منهم إلى شريحة أخرى صارت على القمة وهى الشريحة
رجال الأعمال.. وهؤلاء فى الغالب بلا مؤهلات علمية وبرمية من غير رام
أغنياء أو مليونيرات.. ولم يعد يصلح لهم لقب الأستاذ لأنه صار لقب
يك والفقراء.. ولا لقب الباشمهندس لأنه التصق بالحرفيين.. وكان لابد من
عن لقب يضفى الوقار والمهابة ويعطى الإيحاء الدينى لهؤلاء الذين يعلم الله
مصدر ثرواتهم فوجدوا ضالتهم فى لقب الحاج.. وأنا أعرف عشرات
ج الذين لم يؤدوا الفريضة وحصلوا على اللقب.. وهناك تجار آثار ومخدرات
أبيض ولصوص توظيف أموال ونصابون نهبوا أموال الفقراء بمساكن وهمية
فود عمل مزورة فى الخارج.. وكلهم يحملون لقب الحاج.. ومع لقب الحاج
حصل كثير من هؤلاء على الحصانة البرلمانية ليحتموا بالدين والسياسة
ويمارسوا تحت عباءتهما الانحراف والجريمة وهم فى حراسة القانون وتحت
ه.

اك من يصنع ثروته بطرق ووسائل الكفر والنفاق وينفقها أو ينفق منها
ئل وطرق الإيمان والبر والتقوى.. يصنعها كافراً وينفق منها مؤمناً ومتديناً
اً.. وطرق الانفاق من خلال أعمال البر والتقوى والإحسان وأداء فريضة

الحجة أيضاً من أخطر وسائل غسيل الأموال.. فهؤلاء الذين يرتدون عباءة التقى والورع بعد أن يكونوا الثروة الحرام يشبهون أو هم بالفعل يخادعون الله ورسوله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.. هؤلاء هم الذين يمكرون وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.. وهؤلاء هم الذين يقولون فى الحج: لبيك اللهم لبيك.. فيقال لكل منهم لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

ولا أظن أن هناك بلداً إسلامياً يستخدم لقب الحاج بنفس الإسراف الذى يستخدم به فى مصر.. وإننى لا أرى أصلاً إسلامياً شرعياً لهذا اللقب.. بل أكاد أجزم بأنه لقب فيه شبهة حرام أو هو مكروه أو يعنى عدم التأدب مع الله تعالى.

وهؤلاء الذين يشترون اللقب بفلوسهم التى ينفقونها فى رحلة الحج يشبهون من يشترى الماجستير أو الدكتوراه أو يزور شهادة البكالوريوس أو الليسانس ليمارس النصب والاحتيال باللقب أو الشهادة.. هؤلاء عندما يحبون من يناديهم بلقب الحاج يمنون على الله أن أسلموا وحجوا بينما ينبغى أن يمن الله عليهم أن هداهم للإيمان.. إن كانوا صادقين.. فما بالنا وهم كاذبون ومنافقون ومتاجرون حتى بالدين؟ ثم لماذا لقب الحاج بالذات؟ لماذا لا يطلق على من يصلى لقب المصلى ولا يقال لمن يصوم يا صائم ولمن يزكى يا «مزكى» ولمن ينطق بالشهادتين يا متشهد.. ربما لأن الحاج فقط يريد أن يقول للناس: أنا دفعت دم قلبى لأحصل على هذا اللقب.. أنا اشتريته بألوف الجنيهات فلا تسقطوه من اسمى.. وربما لأن الحاج يريد أن يفسر النصوص الدينية على هواه.. فهو يرى أنه عندما يحج ستسقط كل ذنوبه ويعود كيوم ولدته أمه.. ثم يعود من الحج ليجدد ذنوبه.. ويذهب إلى الحاج فى الموسم ليغسلها وهكذا وينسى أن النص يعنى الحج المبرور وليس حج غسيل الأموال.. ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب.. وهكذا أيضاً بالنسبة للحاج الذى ليس له من حجه إلا اللقب.

ولا إيمان لمن لا حياء عنده.. والمتفاخرون بلقب الحاج يفتقدون فضيلة الحياء مع الله سبحانه وتعالى.. ويتسربلون بمظهر دينى لإخفاء جوهر منافق ومظلم.. مثل ألوف الفتيات اللاتى يرتدين الحجاب والنقاب وأراهن يومياً على الكورنيش فى الشوارع يتأبطن أذرع الشباب ويغرقن فى مشاهد العشق.. فأى حجاب وأى نقاب لمن خلعت برقع الحياء؟ وأظن أن الغلو فى الاعتناء بالشكل والظاهر أزال الارتباط الشرطى بين الزى الذى يقال عنه دينى وجوهر الدين الصحيح.. فليس شرطاً أن تكون ذات حجاب والنقاب على دين و ليس شرطاً أن يكون الحاج على تقوى.

إن الأزياء والألقاب الدينية صارت فى زماننا الردئ «عدة الشغل» أو «عدة

م تعد هناك محرمات أو خطوط حمراء أو قواعد شريفة يلتزم بها من
مة العبادة.. حتى الدين أصبح وسيلة لغايات رخيصة والمتوسلون بالدين
ايات دنيئة أذهبوا طيباتهم فى الحياة الدنيا.. وفى الآخرة يقدم الله
ملوا من عمل فيجعله هباء منثوراً.. ليخرجوا من مولد الدنيا بلا أى

كان العائد من الحج فى الريف بالذات يعمد إلى بيته المبنى غالباً من
ين فيدهنه بالجير ويرسم على الجدار من الخارج جملاً ويكتب بخط
ل الحاج فلان» و«من زار قبرى وجبت له شفاعتى» و«حمداً لله على
يا حاج» و«حج مبرور وذنب مغفور».. وهو نوع من الدعاية له ليعلم الناس
ى المشقة وأدى الفريضة.. ولم يعد لهذا المظهر أثر الآن ربما لأن لقب
يعد غالياً وعالى القيمة كما كان.. وصار لقباً لمن لا لقب له وحصل عليه
لم يؤد الفريضة ومن لم يصل ركعة فى حياته.. وصار بديلاً للقب «المعلم»
ى يطلق على الجزار وصاحب المقهى والبقال والعلاف.. ولقب «معلم»
ة شامى وليس مصرياً.. وقد اختفى تماماً الآن ليحل محله لقب «حاج»
تأثر به الأغنياء الذين صاروا رجال أعمال بقدرة قادر.. ثم صار اللقب
صبح يطلق على كل الناس لأنه يعنى الوجاهة والغنى والوقار والهيبة..
صول على اللقب بشكل شرعى أو غير شرعى يعنى بداية الطريق إلى قبة
. وكل الذين يعملون فى خدمة رجال الأعمال أو نواب البرلمان أسمعهم
ولون: الحاج قال.. الحاج راح.. الحاج مش موجود.. وهناك من يقولون:
كبير والحاج الصغير أو الحاجة الكبيرة والحاجة الصغيرة.. بدلاً من البيه
البيه الصغير.. والهانم الكبيرة والهانم الصغيرة إذا تعدد الأفراد المهمون
لة ويبدو أننا نطبق الآن بكل أمانة مثلنا الشعبى الذى له روايتان وهو: إن
عند الكلب حاجة قول له يا سيدى.. أو قول له يا حاج!

من يربط الحمير؟

تعبنا كثيراً «على الفاضى» فى تصنيف الإنسان.. وقلنا ما لم يقله مالك فى الخمر وطال بنا الجدل والثرثرة حول التقسيم الثلاثى للإنسان إلى طفل وشاب وشيخ.. أو التقسيم الثانى إلى رجل وامرأة وسوى صحيح ومعاق أو التقسيم إلى عمال وفلاحين وفئات.. أو التقسيم الدينى إلى مسلمين ومسيحيين ويهود أو المذهبى إلى سنة وشيعة ومذاهب المسيحية واليهودية.. وكل هذه التقسيمات والتصنيفات تشبه خطوط الطول والعرض الوهمية التى اخترعناها وصدقناها وقدسناها.. واخترعنا صراعات بين الأجيال وبين الأديان وبين الرجال والنساء.. وعقدنا الندوات والمؤتمرات وألقينا المحاضرات حول تمكين المرأة وحقوق الطفل والمعاقين واضطهاد الأقليات العرقية والدينية ومشاركة الشباب فى الحياة السياسية.. وكلام كبير كثير يؤكد أننا كذبنا وصدقنا الكذبة حول التقسيم الوهمى للإنسان.

أما التقسيم الحقيقى والثابت والأزلى للإنسان فلم يتحدث عنه أحد ولم تعقد له الندوات والمؤتمرات مما يؤكد أن عصرنا هو عصر الكذب الذى نظل نلح به على عقولنا حتى نصدقه.. وأما التقسيم الحقيقى الذى أعنيه فهو أن الناس اثنان لا ثالث لهما.. غنى وفقير.. فالغنى المسيحى فى بلد إسلامى يمكنه أن يربى عشرة مسلمين فقراء على السطوح.. والغنى المسلم فى بلد مسيحى يستطيع أن يجند جيشاً من الخدم والحشم المسيحيين الفقراء.. والمرأة الغنية يركع أمامها مئات الرجال الفقراء.. والطفل الغنى يمد رجليه لشيخ فقير ليخلع له الحذاء والمعاق الغنى يحمله على الأعناق مئات الأسوياء الفقراء.. والشاب الغنى لا علاقة له بمشكلة اسمها البطالة.. وكلاب الأغنياء أسعد حظاً من أطفال الفقراء.. وحقوق الإنسان التى صدع بها العالم رءوسنا هى حقوق الأغنياء سواء كان هؤلاء الأغنياء أفراداً أو دولاً.. أما الفقراء فلا حقوق لهم وإنما عليهم دائماً واجبات ينبغى أن يؤدوها نحو الأغنياء.

والأغنياء فى زماننا حصلوا على ألقاب كثيرة ليس منها أنهم أغنياء ربما خوفاً من الحسد.. فهم القادرون مرة وهم رجال أعمال مرة ثانية وهم المستثمرون مرة ثالثة.. تماماً مثل الفقراء الذين يقال عنهم غير القادرين أو يطلق عليهم لقب محدودى الدخل أو الدول النامية.. لأننا فى هذه الأيام لا نحب تسمية الأشياء بأسمائها.. والعالم كله الآن جند نفسه لخدمة الأغنياء تحت عناوين جذب الاستثمار أو النفاذ إلى الأسواق أو الاندماج فى الاقتصاد العالمى.. والقوانين والتشريعات والهيئات والموظفون الفقراء.. كل هؤلاء فى

غنياء وفلوسهم.. فالغنى برىء ولا أظن أن إدانته ستثبت والفقير مدان ولو ثبتت
سماء الفقراء فى الجرائم تذكرها الصحف رباعية أو خماسية وأسماء الأغنياء
بحرف.. والمسئولون يهيجون ويموجون ويطالبون الصحافة بعدم الخوض فى
لناس وتشويه الشرفاء وهم يقصدون بالناس والشرفاء الأغنياء بالطبع.. أما
هم ليسوا ناساً ولا شرفاء.

للفقراء فقط.. لا يستطيع استبداله أو البعد عنه رغم أنهم فيه بلا كرامة ولا
حياة كريمة.. والمطلوب منهم أن يرددوا القول القديم المستهلك: «وطنى هو الذى
يه وشربت ماءه وتنفست هواءه.. ولا يهم أننى ولدت فى مقبرة أو شربت ماء
أو تنفست هواء ملوثاً.. لوثه الأغنياء بمصانعهم ونفوذهم وفلوسهم.

غنياء فالدنيا كلهم وطنهم.. فالغنى يسرق من مصر ويدخر فى لندن ويتغدى فى
يتعشى فى واشنطن وينام فى جنيف.. وله قصر فى روما.. ويستطيع أن يشترى
جنسية بفلوسه ويستطيع أن يشرب أى ماء ويتنفس أى هواء ويترعرع على أى
يستوى فى ذلك الرجل الغنى والمرأة الغنية والطفل الغنى والمسلم أو المسيحى
الغنى مثل البدو الرحل فى الماضى.. لكنه بدلاً من أن ينتقل حيث يوجد الكلأ
.. فإنه يذهب إلى حيث توجد فلوسه.. وفلوسه هى وطنه.. لكن الفقير هو الذى
ن يعشق تراب الوطن ويقبل أرض المطار عندما يعود من رحلة كدح مضنية فى
بخفى حنين لأنه لا يملك البديل.. بل إنه يوصى وهو يلفظ أنفاسه فى الخارج بأن
فى تراب الوطن.. فالفقير وحده هو الوطنى حياً وميتاً.

ى وحده سواء كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً أو على أى دين يستطيع أن يلعب فى
السياسة ويعوم فى بحرها ويشارك فيها بفلوسه، لأن السياسة مكلفة جداً ولا طاقة
ء بها تماماً مثل لعبة كرة القدم.. اللاعبون يفوزون ويقبضون الألوف والملايين..
ماهير تهتف وتزغرد وتغنى وتموت من الفرحة أو الحزن مجاناً.. كذلك السياسة
الأغنياء ويهتف لهم الفقراء.. ويفوز الأغنياء ويهتف لهم الفقراء.. ويفوز الأغنياء
الفقراء «الصابونة».

يك أن تضحك قليلاً وتبكى كثيراً عندما تسمع حديثاً عن عمالة الأطفال وضرورة
دى لتشغيل هؤلاء الصبية فى الأعمال الخطيرة.. فالمتحدثون فى هذه القضية لا
ون ولا يريدون أن يتركوا رحمة الله تنزل بعباده المعدمين.. إنهم يتحدثون عن عمل
ال فى ورش النجارة والحدادة والميكانيكا ومحال البقالة وغيرها.. فهم أغنياء
دثون عن فقراء.. بينما لم يتطرق أحدهم إلى عمل الأغنياء من الأطفال فى مهن
ر وأكثر تدميراً لشخصيتهم، فلا أحد يستنكر أو يدين أو يشجب عمل طفل فى
ة أو الخامسة من عمره بمهنة التمثيل أو الغناء.. لم يستنكر أحد أن يظل هذا الطفل
راً حتى الصباح يغنى أو يمثل على خشبة المسرح.. طفل يتمقص ويكذب ويلون

شخصيته وينادى رجلاً غريباً «يا بابا» ويغازل طفلة مثله فى مشهد تمثيلى.. ولا يقول أحد إن هذا الطفل يمارس عملاً مدمراً وخطيراً.. لأن التمثيل والغناء مهنة الأغنياء ولا ينبغى الاقتراب منها بينما ورش الخراطة والنجارة والحدادة حرف الفقراء.. والحديث عنها مباح متاح.. رغم أننى أستطيع أن أقسم على أن عمل الأطفال فى هذه الورش قد يصنع منهم رجالاً قادرين على تحمل الأعباء والمسئوليات بينما عمل الأطفال فى التمثيل والغناء سيصنع منهم مسخاً مشوهاً بلا شخصية فى الكبر.. لكن دم الفقراء دائماً مهدر ودم الأغنياء مصون لأنهم من الجنس الآرى.

هذا اللغط والجدل يؤكد أننا مستوردون للقضايا والمشاكل والموضوعات من الغرب وأن بنود الأجندة الغربية مفروضة علينا فى القضايا الاجتماعية كما فرضوها فى القضايا السياسية وأننا نتحدث بالعربية عن قضايا أجنبية كأننا مجرد مترجمين حرفيين.. أما قضايانا نحن الحقيقية فلا يتحدث عنها أحد بل لا يعرفها أحد.

مشكلتنا أننا لا نجد وقتاً لفضيلة ففقدناها بحكم اللهاث والزحام والجرى وراء اللاشىء وأعنى بها قضية التأمل وإعادة النظر فى قضايا وقناعات حشرت فى عقولنا ونتعامل معها على أنها مسلمات لا تحتمل الحوار.. بينما بقليل من التأمل سنجدها مثيرة للضحك والدهشة وإننا اخترعناها من «قشر بصل» أو فرضت علينا فرضاً.. وفى الزحام ضاعت القضايا الحقيقية ولم يعد أحد يناقشها أو يلتفت إليها.. فقد صار من قبيل الكفر والعصيان أن يتجرأ أحد ويقول إن قضية التمييز ضد المرأة وهمية وأن قضية صراع الأجيال التى ألحت عليها الدراما على مدى قرن من الزمان كاذبة.. وصرنا مع كثرة التكرار الذى يعلم «الحمار» نردد مع أبطال الأفلام: «يا بابا أو يا ماما جيلكم غير جيلنا.. انتوا جيل واحنا جيل تانى».. وهذا الكلام يتردد من باب تبرير هروب البنت مع الولد الذى تحبه «علشان يحطوا الأهل أمام الأمر الواقع».. وينتهى الفيلم بمباركة الآباء للجريمة على اعتبار أنهم جيل عفا عليه الزمن.

هناك محاولات تجرى منذ حوالى القرن لإعادة صياغة فكر الشعوب وتحويلها إلى قطيع يسمع ويطيع ولا يناقش.. وهكذا تم اختراع صراع الأجيال وصراع الرجل والمرأة وأكذوبة حقوق الإنسان والانفجار السكانى والانفجار المعرفى وعصر المعلومات.. وإذا كنا فعلاً فى عصر المعلومات فإننا لسنا فى عصر الحقائق.. فهناك سيل عرم من المعلومات لكن ليس بإمكان أحد إثبات صدقها أو كذبها أو الجزم بأنها حقائق.. فالمعلومة التى تقول إن الجنين لو نما فى بطن أمه طوال شهور الحمل التسعة مثلما ينمو فى شهر الحمل الأول لاحتاج إلى بطن بحجم الكرة الأرضية.. تبدو معلومة مدهشة ويميل الناس إلى استعراض عضلاتهم بها.. لكن من يستطيع إثباتها وتوثيقها..؟

والطب الذى يقال إنه تقدم تقدماً مذهلاً فى الخمسين عاماً الأخيرة لم يتقدم ولا يحزنون.. وإنما تقدمت الهندسة الطبية التى ساهمت فى القدرة الفائقة على التشخيص

الأشعات والتحاليل والأبحاث بينما لم يتقدم العلاج قيد أنملة والأمراض
ت والفيروسات صارت أكثر تطوراً وتقدماً من الطب عشرات المرات.

كلها وفى جميع المجالات سلسلة متصلة ومتواصلة من الأكاذيب والقضايا
التقسيمات والتصنيفات الخرافية.. المسألة كلها مجرد مكلمة فى العالم كله حول
وجود لها والسباق الآن على اختراع مصطلحات وقضايا ومشاكل وليس على حل
حسم القضايا.. والأسئلة مازالت أضعاف أضعاف الأجوبة.. والمثقف الآن هو
طيع أن يقول ويكتب ما لا يفهمه السامعون والقراء.. فإذا فهموه «يزعل جداً» لأنه
لحالة لا يكون مثقفاً.. والخبير يستطيع أن يحدد لك مائة مشكلة لكنه لا
أن يعطيك حلاً واحداً.. ليصدق فينا قول الأديب الروسى تولستوى: «إن اختراع
ية أسهل مائة مرة من تطبيق نظرية واحدة».

ا نقول إن المسألة أبسط من ذلك التعقيد بكثير وإن الإنسان اثنان بلا ثالث هما
فقير فإننا لا نهاجم الأغنياء ولا نهتف للفقراء وإنما ندعو إلى تسمية الأشياء كل
ل بأسمائها الحقيقية.. لا نريد أن يصبح الجميع أغنياء لأن الميزان فى هذه الحالة
وستكون أنت أميراً وأنا أميراً ولن نجد من يربط الحمير.. لا نريد المدينة الفاضلة
تتحقق فى الدنيا مهما فعلنا.. ولن نجد ما نكتب عنه إذا بنينا المدينة الفاضلة.

دعو إلى التأمل وإعادة النظر وغربلة ما نعتنق وما نقتنع به ففى عقولنا كثير من
ت والمخلفات والزبالة الغربية.. وفى رءوسنا كراكيب كثيرة ينبغى أن نعطيها «لبتاع
يا» والفقراء لا نطلب لهم فلوساً ولا مزارع ولا مصانع وإنما نريد لهم حياة كريمة..
لام لم يفرض علينا أن نعطى السائل قرشاً أو جنيهاً ولكن طلب ألا ننهره.. مما يؤكد
ألة أبسط بكثير من هذا التعقيد الذى اخترعناه.. فالغرب لا يكتفى بدفن نفاياته
والكيماوية فى أراضى الدول النامية «الفقيرة» وإنما يدفن أيضاً نفاياته الفكرية فى
شعوبها.. وهذه الشعوب إذا أرادت الاستقلال الحقيقى فإن عليها أن تتسلح بالتأمل
ة النظر والشك فى الأفكار والمعتقدات والقضايا الوافدة.. عليها أن تقوى مناعتها
ة بمصل الشك والتردد بشأن ما ينهمر عليها من أفكار ومعلومات.. فهناك محاولات
ودة أو غير مقصودة يشارك فيها فريق منا لتسبيل الشعوب الصلبة.. هناك معلومات
ة أو بلهاء لتحويل البشر إلى أجهزة كمبيوتر تتم برمجتها وتخزين المعلومات فيها بلا
مة وبلا قدرة منها على الانتقاء والفرز.. وأخطر ما يتجه إليه عصرنا هو تحويل
إلى نسخ متعددة من كتاب واحد وإعدام الفروق الفردية والقدرات الخاصة.. حتى
من يحاول الاجتهاد وقول كلام مخالف وجديد مغرداً خارج السرب.. وشارداً بعيداً
قطيع التى تأخذه العزة بالإثم وينخدع بالإجماع الباطل.. وعندما يصبح الناس نسخاً
ة من كتاب واحد يصبحون كالحمار يحمل أسفاراً.. وعندما يكون الكل امراء فى
فة والفهم وكم المعلومات لن تجد من يربط الحمير.

قطار قشاش
و«سواق» حشاش!

يقولون إن سيبويه صاحب «الكتاب» والرائد الأول لعلم النحو بعد أبى الأسود الدولى.. كان على فراش الموت وحوله العائدون والتلاميذ فقال لهم: أموت وفى نفسى شىء من «حتى».. لأن «حتى» هذه حيرته وحيرت من بعده.. وتعارك بشأنها البصريون والكوفيون والمصريون.. فقال قائل إنها حرف جر وقال غيره إنها ناصبة وقال ثالث إنها زائدة ولا عمل لها فيما بعدها.. وقال آخرون إن فيها لغة أخرى غير «حتى» وهى «عتى» بالعين بدلا من الحاء.. ولكن هذا ليس موضوعنا.. بل أردت استعارة قول سيبويه لأقول لكم: أموت وفى نفسى شىء من «أفعل التفضيل».. فقد نجح العرب على مدى تاريخهم الطويل فى أن يجعلونى أكره «أفعل التفضيل».. وتاريخنا كله قديمه وحديثه نكتبه ونقرؤه بأفعل التفضيل.. فهذا أسوأ عصر.. وهذا أزهى عصور الديمقراطية.. وهذا أعظم زعيم.. وتلك أجمل النساء.. نقول كل هذا وأكثر منه بجرأة شديدة وبلا تردد وكأننا نراهن على ذاكرة الناس التى نجحنا فى مسحها ومحوها.. فصار المسئولون العرب فى كل موقع يتعاملون مع شعوب بلا ذاكرة.

لقد كانت للعرب قديما وحديثا صولات وجولات ومعارك طاحنة حول أشعر بيت أو أشعر الشعراء أو أمدح أو أغزل أو أهجى بيت فى الشعر العربى.. ودوخونا وداخوا ولم يحسموا الأمر لأنه أمر لا يمكن حسمه.. وهكذا صارت أفعل التفضيل تحكم فكرنا كله من حيث الحكم القاطع بالأسوأ أو الأفضل أو الأعظم أو الأحقر.. فهذا الحكم القاطع نسف كل جسور التلاقى وقاد إلى رذيلة احتكار الحقيقة والعزة بالإثم وشطب السابق وإثبات الحالى.. والتطرف المقيت والتشبث الأعمى بما أراه الأفضل أو الأسوأ.. كما أدت أفعل التفضيل إلى التعميم الجاهل للأحكام والذاتية الشديدة التى تبنى آراءها على مجرد الانطباع والوهلة الأولى.. وأذكر فى سالف العصر والأوان اننى كنت استمع إلى حوار فى المذياع بين مذيعة وفتاة أمريكية تجيد العربية وسألتها المذيعة عما أعجبها فى مصر.. فقالت الفتاة: إن العلاقات الأسرية والاجتماعية عندكم دافئة وفيها ود وألفة.. فلجأت المذيعة بسرعة فائقة إلى أفعل التفضيل وسألت الفتاة: أنت تقصدين أن العلاقات الأسرية والاجتماعية

...سن من أمريكا؟.. فأجابت الفتاة بهدوء: لا أريد أن استخدم كلمة

...التفضيل كانت دائما وستبقى بيت الداء العربى.. فقد تفرعت منها آراء متطرفة كثيرة مثل قولنا المتواصل وبلا انقطاع عند كل عمل قل شأنه أو ...ر.. إن التاريخ سيتوقف أو سيقف طويلا جدا أمام هذا الإنجاز أو أمام ...درة أو أمام هذا المسئول أو الزعيم.. وقد أدى تكرار توقف التاريخ طويلا ...ريخنا كله أصبح قطارا «قشاشا» يتوقف طويلا فى كل نجع أو كفر أو عند ... ولا يكاد يتحرك حتى يتوقف طويلا.. وهكذا فإنه لا يصل أبدا ولا نصل ...ب تاريخنا القشاش إلى غايتنا أبدا.. وتاريخنا الحقيقى على مدى العصور ...انب ولم نكلف نحن أنفسنا مجرد عناء قراءته.. وأما ما كتبناه نحن من ...فإنه دائما قصائد مدح أو قصائد هجاء بنيت كلها على أفعل التفضيل.

...دت أفعل التفضيل هذه إلى تمتعنا بقدرة هائلة على الشطب والمحو.. فكل ...قبل الثورة أو قبل الانقلاب أو قبل تولى هذا الزعيم أو هذا الوزير أو هذا ...و الأسوأ والأشد إظلاما وظلما وأن عهده هو الأزهى والأكثر إشراقا.. ...دنا من جديد بعد أن كنا قبله أمواتا فأحيانا ونفخ فينا من روحه.. وعندما ...يصبح هو الأسوأ ومن جاء بعده هو الأعظم.. ورحم الله الشاعر نزار قبانى ...ال: نبايع أربابنا فى الصباح ونأكلهم حين تأتى العشية.. ولا رحم الله نائبا ...العراقى الحالى قال: إن الخراب والدمار والعنف الحالى فى العراق أرحم ...م صدام حسين.

...ا جعلتنا أفعل التفضيل فى حالة هدم مستمرة وحالة شطب متواصلة ...يبدأ الزعيم أو المسئول من الصفر.. ودائما يستغرق كل وقته وعهده فى ...سابق ليبدأ من جديد.. ولا تمهله الأيام لكى يبدأ لأنه مشغول بالهدم ... قبل أن يكمل الهدم أو قبل أن ينزع لافتة من فوق مبنى ليكتب عليها لافتة ...تقول إن هذا البناء افتتح فى عهده الميمون كما كان يفعل سلاطين المماليك ...ضهم وورثناهم فى هذه الفعلة.

...يخنا لأنه مصنوع خصيصا أو هو تاريخ جاهز وتفصيل «وتيك أواى» امتلأ ...باعات والانفعالات فاسقطنا منه عظماء ورفعنا فيه نكرات.. وجعلنا ...ين خونة والخونة وطنيين حسب الحال وحسب مزاج من كتب فى عهده ...خ.. وبهدلنا التاريخ بهدلة كبيرة حين حشرنا فيه كل شىء فهذا هدف ...ى.. وهذا إنجاز تاريخى.. ويوم تاريخى.. فقد صار تاريخنا مقلب قمامة.

...شكلة الكبرى فى عالمنا العربى أن كل شىء يخضع للخصخصة.. إلا الإنسان

وعقله.. فالأنظمة مصممة على بقاء عقل الإنسان العربى قطاعا عاما وملكا للدولة وخاضعا للتأميم.. وأى محاولة من جانب الإنسان العربى لخصخصة عقله وفكره تواجهها الحكومات بالتنكيل والاتهام بالمروق وتكدير الأمن والخروج على السلطة والشرعية والتطرف والإرهاب والحض على الكراهية وقائمة طويلة من الاتهامات ربما يدفع المتهم فيها حياته لأنه يريد تحرير عقله.

ومن العجيب أن نجد ونجتهد فى محاولة تشكيل جمعيات لحماية المستهلك من السلع الفاسدة والغش التجارى والأسعار المشتعلة ولا يطالب أحد بجمعيات أهم لحماية مستهلكى الأفكار الفاسدة والتاريخ المزيف والأحكام الانطباعية المبنية على أفعل التفضيل ومن المدهش ألا يطالب أحد بروابط وجمعيات تعلم الناس إعادة النظر والتردد والتأمل وغربلة كل ما تم حشونا به من بهتان.

لقد تعلمنا فى مدارسنا وعبر أجهزة إعلامنا ومن خلال مسئولينا شعار الزعيم الفاشى موسولينى الذى كانت تردده إيطاليا حتى قادها إلى الهاوية وهو: موسولينى دائما على حق تعلمنا العزة بالإثم والمغالطة «والغلوشة» وإلباس الباطل ثوب الحق فصار السوقة والغوغاء قادة رأى وموجهى فكر.. وفهمنا معنى الحرية على انها حرية الخطأ والخطيئة وليست الحرية المسئولة.. وفهمنا الجرأة فى الطرح على أنها الحديث عن الجنس بلا تحفظ ولا حياء ورددنا عبارة غبية لا أدرى من أين جئنا بها.. وهى لا حياء فى الدين رغم أن الحياء شعبة من شعب الإيمان ولا دين لمن لا حياء عنده.

إن كل ما ينهمر على رؤوسنا من أمطار الأفكار والقيم والمبادئ.. مجرد بضاعة فاسدة كاسدة تحتاج منا إلى جمعيات لحماية مستهلك تلك الأفكار.. وروابط لإعادة النظر فلم يعد المتطرف أو المتشدد فقط هو ذلك المتنطع فى الدين.. فهناك المتطرف فى الإباحية والتشدد فى السياسة والتمادى فى الاستغراب والغلو فى الذاتية والسيولة فى الفن والثقافة والفكر.. وهناك عبادة أصنام جديدة صنعناها بأيدينا ونسجد ونركع لها.. هناك عبادة للأشخاص وللأفكار وهى عبادة مبنية على الأعظم والأكبر والأوحد والأفضل وكل ما يتعلق بأفعل التفضيل التى أفسدت عقولنا وقلوبنا ففقدنا فضيلة الاعتدال والاتزان واتبعنا مقولة «خدوهم بالصوت ليغلبوكم».

ولا أحد يجد وجاهة فى رأى الفيلسوف الفرنسى فولتير الذى يقول: إنى أخالفك الرأى ولكنى مستعد لأن أدفع حياتى ثمنا لكى تقول رأيك.. ولا بقول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أحبب حبيبك هونا ما فقد يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فقد يكون حبيبك يوما ما.. ولقد كان الصديق أبو

ى الله عنه على حق وهو دائمـا على حق عندمـا راح يعظ قـادته الذين
ى الحرب ويدعوهم إلى الحذر واليقظة وانتهاز النهار فى القتال وتجنب
الطاقة وقال قولته العظيمة: وأعلم أن فى العرب غرة والغرة هنا تعنى
والهوج وسوء التصرف عند وقوع مفاجأة.. وهذه الغرة هى عادتنا التى
وتعاظمت مع الأيام.. وعبرت عن نفسها فى إسرافنا واستخدامنا المفرط
تفضيل وهو استخدام يفقدنا الكياسة والفطنة ويجعل قطار تاريخنا
مكسور الأبواب يقف عند كل خرابة على انها محطة ويركبه ويدخله باعة
والنداغة ونبوت الغفير» وباعة الوهم والدجالون والنشالون.. والسائق فى
لأنه مسطول ولا يريد أن يصل إلى بغيته ولا يريد أن يفيق.. فالأمة كلها
ة فى قطار قشاش يقوده سائق حشاش.

كوابيس خلف الكواليس!!

نحن ضحايا لأكبر عملية نصب سياسى.. نحن أسرى نفق مظلم لا يبدو فى نهايته ضوء.. نحن محاصرون بجيش جرار من الدجالين.. نحن البيضة والحجر اللذان يلعب بهما الحواة.. نحن القرود التى يسرح بها "قرداتى" شيك وانيق.. يظل ينادى ليل نهار "الليل الليل.. الليل يا ميمون".. نحن الذين يخرجون من "نقرة ليقعوا فى دحديرة".. نحن مجاميع كومبارس يسوقها المنتج "الواحد بشلن" لتكون حشودا حول أبطال الفيلم.. ووقودا لمعركة لا ناقة لها فيها ولا جمل.. نحن الضحايا ونحن الجناة.. لاننا مسئولون عن فن هابط وثقافة مزيفة وسياسة جعلت الدجالين والمشعوذين نجوم الزمن الأغبر.

إنه وباء عربى عام وكاسح.. أصاب كل مجال فلا تسأل بعد ذلك عن انتخابات حرة أو مصداقية أو شفافية أو فن رفيع أو قيم أصيلة أو تقاليد وتراث وانتماء وولاء.. ولا تصدق من يقول لك إن هناك حلا.. حتى لو قال لك إن الإسلام هو الحل أو الولاء هو الحل إنها كلمات حق يراد بها باطل.. واعلم أنك فى سيرك وأن ماتراه من كر وفر وبلطجة وعنف ودماء ومعارك وصراخ فى الأرض والفضاء ليس سوى خدع سينمائية لأن المخرج "عايز كده".. وإن ما يدور خلف الكواليس يشبه الكوابيس.. وإن ما يظهر على الشاشة أمام عينيك لا يمت للحقيقة بصلة.. لأن اللاعبين فى السيرك يطبقون بأمانة بيت أمير الشعراء شوقى:

بقارعة الطريق ينال منى

ويوسعنى عناقا فى الزقاق

يطبقون عنوان فيلم هند رستم الشهير: قبلنى فى الظلام.. أما فى النور فاضربنى واضربك لينخدع الناس بأن هناك خلافا ومعركة فكرية وسياسية.. وما أسهل خداع الناس فى أمتنا.. ما أيسر الضحك عليهم بوعد مكذوب وقول مستهلك ما أسهل أسر الناس بتوقيع مضروب وبلحية كثيفة وبشعارات الدين وبرفع المصاحف على أسنة الرماح.

ولا يخفى على كل ذى فطنة وكياسة أن الفيلم مهلهل والفكرة غائبة وأن هناك رائحة كريهة تزكم الأنوف وان هناك صفقات مشبوهة على طريقة "شيلنى

يخفى اننا نصنع السياسة كما نصنع الفن مجموعة افيهات وبنت حلوة
صنع السياسة على طريقة "بوحة" لكن المشكلة أن أصحاب الفطنة
صاروا مثل إبرة فى كوم قش.. فلا وجود للكيس الفطن لأنه لا وجود
ى يقرأ بقلبه لا عينيه.. ويعى أن المال فقط هو الآن سيد قراره وليس
أن الناس سامعون طائعون منصاعون بواحد من اثنين سيف المعز أو
سياستنا العربية تدار بسيف المعز أو ذهبه فهما حسبه ونسبه.. وليس
حد أن يشكك فى أن المعز من آل البيت وأنه شريف.. مثل كل الأشراف
وا أمتنا فجأة.. بحيث أصبح هناك شريف كل ساعة.. فقد استعبد
يفه واشتراهم بذهبه.

شىء فى هذه الأمة يجرى بمنطق الدجل والشعوذة والنصب خصوصا
سة فإن كل نجوم مجتمعاتنا فى أى مجال صنعتهم الصدفة واقتحموا
نطق "يا صابت يا خابت" ولأن هناك غيابا تاما للوعى لدى الشعوب فإن
الطائشة تصل إلى هدفها وهكذا رأينا نواب برلمان بالصدفة ووزراء
ة وصحفيين وإعلاميين بالصدفة وعلماء بالصدفة ورجال أعمال وفنانين
ة وسفراء نوايا حسنة بالصدفة ونحن جميعا أصحاب نوايا حسنة نسير
ريق إلى جهنم المفروش بالنوايا الحسنة.. وهكذا أصبحنا جميعا أبناء
"صدفة هانم بعضشى".. لأن المنطق أحس بغربة ووحدة وضياع فى أمتنا
عصاه ورحل مهاجرا بعد أن مزق هويته العربية.. ويقولون فى الغرب أن من
يصبح مليونيرا بسرعة فليذهب إلى العالم العربى.. لأنه لن يحتاج إلى
ومنطق لكى يصبح ثريا.. أما فى الغرب فإن كل شىء له قواعد حتى
ف له منطق سواء كان مرفوضا أو مقبولا.

منافقون فى ممارستنا لكل أمور حياتنا.. لذلك لا يوجد لدينا اتجاه عام أو
ام يمكن قياسه والتعويل عليه فى رسم السياسات.. وسنظل نرقص على
.. فلا نحن تمسكنا بهويتنا وجذورنا وثوابتنا ولا نحن خلعنا هذه الثوابت
ا قيادنا بالكامل للغرب ولأن الشخصية العربية أصابها الانفصام والازدواج
د هناك مشروع قومى يمكن أن يلتف حوله الناس.. ولا يوجد أى أمل فيما
ون عليه الإصلاح فخراب الإنسان من الداخل هو الخراب المستعجل وليس
ا أن يكون مسئولونا وقادة الرأى فينا على شاكلتنا.. فهم نفر منا ملكناهم
ومقاعد وشاشات ومواقع مسئولية فمارسوا علينا لعبة النفاق والتحدث
ن..واظهار ما يخالف الباطن.. ويردد أحدهم وهو يعظنا يقول.. فرعون: ما
م إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.
أنه لا توجد قواعد ويجرى كل شىء بالصدفة وبرمية من غير رام فإن هناك

سباقا بيننا على تزكية النفس وتضخيم الذات والقول بلا خجل ولا تردد: أنا الأحق وأنا الأولى وأنا الأجدر.. وأنا الأفضل.. تماما كما يتسابق الناس فى المصلى أو المسجد أيهم يكون الإمام فلا أحد يخاف المسئولية ولا أحد يتردد فى حمل الأمانة لأن كلا منا أصبح ظلوما جهولا.. ويزكى نفسه حتى على الله ويتقدم بجرأة نادرة ليؤم الناس فيرفع المنصوب وينصب المجرور وهو يتلو القرآن.

والجرأة النادرة فى إمامة الصلاة تتكرر فى كل مجال فلن تجد من يرفض وزارة أو منصة قضاء أو إفتاء أو قيادة مؤسسة لن تجد من يخشى العبء الثقيل بل ترى زحاما وعراكا وتدافعا وكل منا يريد أن يتقدم الصف لأنه فى رأى نفسه الأحق والأجدر وهكذا ترى دائرة انتخابية فى بلدى بها عشر قرى تقدم للترشيح فيها ثلاثون أو يزيد حتى أن عدد المرشحين فى دائرتى يكاد يساوى عدد الناخبين.. بمنطق واحد هو اننى الأفضل والأحق والأجدر.. وبمنطق آخر هو أن الناخب فى دائرتى وفى كل دوائر وطنى بلا رأس هو ناخب صوته فى جيبه لأنه بلا رأس. والمواطن فى أمتى مضحوك عليه طوال اليوم والليل فهو مريض يضحك عليه الطبيب ويسرقه لأن الطبيب لديه جرأة إجراء جراحة مخ وأعصاب وهو طبيب أطفال أو بيطرى ولا يكتفى المريض فى أمتى بالموت بل هو يفضل الموت وخراب الديار والمواطن فى أمتى موكل لمحام نصاب وقارئ لصحفى نصاب ومشاهد لإعلامية منحرفة وفنان منحل يؤدى دور صحابى والمواطن مرءوس لمدير جاهل ولوزير كذاب.. وهذا المواطن الضحية طوال النهار والليل إذا قدر لا يعفو.. وإذا حكم استبد وإذا تولى فسد.. لأن كل فرد منا صار دولة داخل الدولة وأمة داخل الأمة.. هو أولا ومن بعده الطوفان.. هو يريد السلطة والسلطان وينسى بسرعة أنه كان يوما ضحية السلطة والسلطان.. ولقد صار من قبيل الأساطير والخيال ما نسمعه من قصص الأقدمين الذين كانوا يتعرضون للسجن والجلد والتعذيب من أجل أن يقبلوا المناصب كمنصب القضاء لكنهم كانوا يرفضون ويهربون.. فالآن يقاتل الناس بعضهم بعضا من أجل أن يحتل أحدهم الموقع لأنه يعلم أن المواقع فى زماننا تنفر من أصحاب الرءوس والعقول وتطلب أصحاب الذيول والسوابق.

اننى أخشى أن نكون وصلنا إلى المرحلة التى يتوارى فيها المحترمون ويحتجب فيها أهل العقل لأن اللعبة صارت قذرة ولا يشارك فيها إلا الملوثون.. وأن الرابح فيها هو الأكثر انحطاطا وتلوثا والأكثر نصبا ودجلا وكثرة النصابين أكبر دليل على كثرة الطماعين وأخشى أن الناس صاروا فريقين أحدهما ينصب ويهرطق ويدجل والآخر ينتظر دوره.

واننى أعلم أن البحث عن ملائكة يمشون فى الشوارع هو بحث عن قطة سوداء لا وجود لها فى غرفة مظلمة لكننى أرى أن هناك نسبة آمنة من التلوث

يمكن السماح بها مثل نسبة الاشعاع أو المواد الكيماوية أو المبيدات فى
خشى اننا تجاوزنا النسبة المسموح بها دوليا للتلوث الأخلاقى والنصب

رجة من العبث والفوضى والفساد يمكن القول عندها اننا فى الحدود
المسألة فى اعتقادى تجاوزت الحدود الآمنة أو الهفوات البشرية التى
اضى عنها بحيث يمكننا القول بقليل من الخطأ والتجاوز أن هناك منهجا
وحلفا للفساد والعبث والتزييف وتغييب الوعى وسلب الإرادة فى هذه
اك حلف أو محور أو حزب أو مافيا لتبوير عقول ا لشعوب العربية حلف
الاضداد من إسلاميين وعلمانيين وحكومة ومعارضة وإعلام ورجال
حلف شيطانى استطاع أن يدمر مناعة هذه الأمة ويصيبها بالعقم ويجعلها
ع الزيف وتتكيف مع البهتان وتدمن مغيبات الوعى.. وهكذا يصبح العلاج
هو الصدمة أو الكارثة فأين المفر؟.

جوّع كلبك يتبعك..
أو يأكلك!!

امثالنا الشعبية كلها او جلها ظهرت فى عهد المماليك عندما فسدت السمكة من رأسها.. وعندما أخذ العامة الحكمة من افواه المجانين ومن سلوكيات الامراء المماليك.. عندما ضاقت الأرض بما رحبت وفسد أولو الامر وعرف الناس الجوع حتى أكلوا بعضهم.. وتآلف الناس مع الذلة والمسكنة وصاروا رعايا لحكام عبيد مجلوبين من كل حدب وصوب.. وفى عهد المماليك عز الابطال وندر اهل المروءة والقيم.

فهرب الناس الى الاساطير واخترعوا ابطالا من الخيال.. وكلهم كانوا ابطالا من اللصوص وقطاع الطرق مثل احمد الدنف وعلى الزيبق وغيرهما.. ولم يكن للناس مثل اعلى أو ملاذ حتى العلماء فسدوا وباعوا ضمائرهم ودينهم وفتاواهم لمن يدفع أكثر.. وضاعت هيبة القضاء لان قضاة هذا العصر كانوا مرتشين ومرتزقة لذلك قال الناس: "الفاضى يعمل قاضى" أى ان القضاء على عهد المماليك كان مهنة "العواطلية".. اما اصحاب الشأن والمكانة والحيثية والقدر فلم يكن العمل بالقضاء يليق بهم ولهم.

وقضاة وعلماء ذلك الزمان هم الذين وضعوا القواعد والمناهج والمبادئ التى مازالت سارية حتى الان.. وتوارثت الاجيال تلك القيم السلبية التى تخلط بين الصبر والذل وبين الرضا بالقضاء والقدر والخنوع والاستكانة والمهانة.. وقد قال علماء وقضاة زمان المماليك ما يشبه قول جماعة الاخوان الآن.. ان الاسلام هو الحل.. وتحت الشعار المطاط والعنوان الفضفاض يضع كل امرئ الاسلام الذى يراه.. فهو تارة الاسلام الخانع والذليل والمطحون باسم الصبر والرضا والقناعة وتارة هو الاسلام الانقلابى الرافض والمحتكر وحده للحقيقة والمحبوس داخل تنظيم او جماعة او طائفة ترى انها الفرقة الناجية وان الجميع فى النار وان من ليس معها فهو ضدها وهو كافر.

وأى مجتمع فى الدنيا لايفسد بالقطعة او بالتقسيط بمعنى ان الطبق الذى به طعام فاسد لايمكن ان نجد نصفه فاسدا والنصف الآخر سليما.. ولكن الفساد يحدث صفقة واحدة والانهيار يقع مرة واحدة فلا يمكن ان تجد فى مجتمع متداع فنا صالحا او رياضة ناهضة او ثقافة مزدهرة او سياسة ناضجة او اقتصادا

.. لايوجد مجال يعزف منفردا لان عزفه سيكون نشازا وسط فريق
. السيمفونية كلها لابد ان تكون متكاملة ايا كان نوع هذا التكامل سواء
لا فى الفساد او فى الصلاح.

من أين يبدأ الانهيار.. المهم انه يحدث.. فالماركسيون يقولون ان العامل
ادى هو الحاكم او هو الفوقى ومنه يبدأ الفساد أو الصلاح.. فلا
ية للجياع والفقراء والمطحونين والكادحين.. والحرية تبدأ بلقمة العيش
لك قوته لايملك ارادته وصوته وحريته فالخبز اولا وبعده يأتى كل شىء.

عات الاسلام التى تعمل بالسياسة تقول ان العامل العقائدى هو الفوقى
اكم وان ابتعادنا عن الله وعن الاسلام هو سبب "كل البلاوى" وان الاسلام
ونه هم هو الحل.. ويقولون او يقول بعضهم على المنابر ان مايحدث لنا من
ستبداد وفقر وانهيار المنازل على رءوس سكانها غضب من الله.. مع ان
ت تنهار على سكان الدويقة وحكر ابودومة والجيارة ولاتنهار على سكان
وجاردن سيتى.. تنهار على سكان العشوائيات لا على سكان القصور!

ل الليبراليون والعلمانيون والمستغربون ان كل مصائبنا سببها عدم تمكين
وانتهاك حقوق الانسان والاقليات وغياب الديمقراطية وعدم قبول الاخر
ت من الفاظ استحدثوها واصنام اخترعوها بأيديهم ثم عبدوها.

ن كان يحلو لى ان اترك كليتى فى بعض الايام لأحضر محاضرة فى كلية
وق لبعض اساتذة القانون الذين احببتهم.. واذكر ان احد هؤلاء قال يوما ان
ة الاقتصادية وشيوع الفقر والضنك منهج مفتعل ومدروس وعمدى لبعض
مة الحاكمة لحبس الناس فى مشاكلهم الخاصة جدا حتى لايكون لديهم وقت
ير فى قضايا عامة.. هناك سبق اصرار وترصد لجعل المرء فى لهاث مستمر
لقمة عيشه ومرتبه وديونه للبقال والجزار.. والاقساط المستحقة عليه
معيات التى يدخلها ويخرج منها وتخليص اوراقه فى المصالح الحكومية ودفع
ام من الفواتير والايصالات.. واللحاق بموعد المحكمة والمدرسة والعمل
توبيس والخروج من موسم يحتاج الى فلوس لدخول موسم اخر.. حتى "يتخمد"
آخر الليل منهكا مهدودا لاوقت عنده للتفكير فى قضية عامة او وطنية او
ية.

هذا الذى تفعله بعض الانظمة الحاكمة فى شعوبها هو نفسه ماتفعله الدول
برى فى الدول الصغيرة الفقيرة.. فالكبار حريصون على اغراق الصغار فى
يون والمشاكل السياسية والاقتصادية واختراع الفتن والحروب الاهلية لضمان
عية الصغار وخضوعهم دون حاجة الى تدخل عسكرى مباشر ومكلف.. فالمنهج

السائد الآن من جانب الانظمة الحاكمة ضد شعوبها او من جانب الدول الكبرى ضد الصغرى هو منهج "جوع كلبك يتبعك".. لكن هذا المنهج عند الشعوب التى مازالت حية يجعل السحر احيانا ينقلب على الساحر ويصبح العنوان البديل هو "جوع كلبك يأكلك".. فالشعوب الحية تنقلب على النظام الذى يجوعها فتأكله اما الشعوب الميتة سريريا فهى تتكيف مع الجوع والتبعية والذل.

والانظمة التى تؤمن بشعار "جوع كلبك يتبعك" ترى ان الفلسفة هى علم الرفاهية بمعنى ان المرفه والمسترخى والغنى فقط هو الذى يتفلسف.. فيتكئ على أريكته الوثيرة وينتقد سياسة الحكومة الخارجية ويطالب بالديمقراطية وحقوق الانسان والمرأة والطفل ويراقب الانتخابات ويتحدث فى صالونه الادبى عن الاصالة والمعاصرة والعولمة والاستنارة والمشاركة السياسية "ويقلب دماغ الحكومة" .. اما المطحون فى رحى الحياة اليومية فلا وقت لديهم للفلسفة والتنظير.. وهؤلاء من السهل حكمهم وقيادتهم والسيطرة عليهم وجلب تصفيقهم وهتافهم بقرشين او بوعود وردية بوظائف ومساكن ومستقبل افضل لايأتى ابدا.. لذلك فإن حكم الفقراء اسهل الف مرة من حكم الاثرياء المرفهين.

والمجتمع الذى يفسد صفقة واحدة لايمكن ان يقال عنه ان حكامه شياطين ومعارضته ملائكة وانبياء.. فالحكومة والمعارضة بكل اطيافها والاعلام والفن والثقافة والاقتصاد.. كل ذلك افراز شعب وطفح مجتمع.. اذا كانت حكومته رشيدة فإن معارضته ايضا تكون رشيدة.. واذا كانت حكومته فاسدة فإن معارضته ايضا فاسدة.. وعندما تختلط الاوراق تصبح الرؤية ضبابية كما كانت فى عصر المماليك.. حيث كانت الحكومة فاسدة وغاشمة وكانت المعارضة مجموعة من الفتوات واللصوص وقطاع الطرق او من الذين حرموا من كعكة السلطة.. وكان الشعب يتعاطف مع اللصوص وقطاع الطرق كراهية فى النخبة الحاكمة.. وما اشبه الليلة بالبارحة.. فالناس يكذبون الحكومة ولو صدقت ويصدقون المعارضة ولو كذبت ودجلت وافترت.. والحكومة مطالبة بتقديم الادلة على كلامها ووعودها لكن المعارضة معفاة من تقديم اى دليل على شتائمها واتهاماتها.

ولقد رأيت مجموعة من الناس وقد التقوا حول مقال معارض راحوا يقرءونه لبعضهم بصوت مرتفع ويقولون انه الاعظم والاقوى وعندما قرأته لم اجد فيه سوى سباب وشتائم واتهامات بالفساد للحكومة والنظام.. وعندما تقول الحكومة ان الشرطة تدخلت فى الانتخابات لاحتواء العنف والبلطجة وتأمين اللجان يمصمص الناس شفاههم سخطا ويقولون انه كذب وافتراء ولايوجد دليل على كلام الحكومة.. وعندما يقول الاخوان المسلمون ان الحكومة امرت الشرطة بالتدخل والقمع والاعتقال ومنع الناخبين من التصويت يقول الناس: هذا حق.. ولايحتاج الى دليل.

هذا ان الحكومة صادقة والمعارضة كاذبة.. بل ربما يعنى ان الجميع
الشعب مخطوف كرهائن بين الحكومة والمعارضة.. والحكومة بالتأكيد
اجرى ويجرى لها لانها على مدى عقود طويلة اجادت الكذب والتزييف
الوعود الوهمية والارقام المفبركة.. وعندما ارادت ان تصدق مرة كانت
ينها وبين الشعب قد انهارت تماما.. ولو حلفت على المصحف والانجيل
لن يصدقها احد.. بينما المعارضة لم تحكم ولن تحكم على مايبدو..
حكم المعارضة أمنية وحلما لديها ولدى الناس حتى اذا حكمت صارت
رهها الناس واحبوا معارضة اخرى غيرها.. وهذا تراث مصرى من عهد
. وهو تراث كراهية الحكومة والسلطة وعشق المعارضة ولو كانت من
.. وربما هو تراث مصرى ابعد كثيرا من عصر المماليك.

قول فى امثالنا الشعبية ان الكلام ليس عليه جمرك.. اى ان الكلام
لا يخضع لضرائب ولاجمارك واللغة لاتستعصى على احد بل ان الكذبة
والمنافقين والدجالين والنصابين ربما يكونون افصح لسانا واقوى حجة..
عانيه الآن من الحكومة ومعارضيها ومن الاعلام باطيافه ومن علماء الدين
.. هناك مكلمة بلا نهاية ولا احد يطلب الدليل على صدق او كذب المتكلم
ولاعزاء لذوى الصوت الخفيض والمتشبثين بالموضوعية والباحثين عن
.. فنحن فى "ملقف قضاة" ولاننا جميعا "قاضيين" عملنا بالقضاء وجلسنا
صة نحاكم بعضنا ونحكم على بعضنا فالواحد منا هو القاضى والجلاد
فى آن واحد.. حتى قيل ان المجتمع مفكوك من بعضه وان المنزل كله آيل
ط فلا معنى لطلائه وتزيين واجهته بالذهب واللوحات التشكيلية والناس
بكل انتماءاتهم يتعاركون على قضايا هامشية ويتركون المنزل آيلا للسقوط
وجد هم عام يجمعهم ولاقضية قومية "تلمهم" وكل منهم يقول لنفسه "لو
وك وقع خدلك منه قالب" وفى هذه السكرة التى لاتذهب وتأتى بعدها
يضيع هباء منثورا نداء لوط عليه السلام لقومه: "أليس منكم رجل رشيد"!؟

"القوالب نامت"
حتى ماتت!!

كنا زمان عندما تتفشى ظاهرة سلبية وينتشر وباء اجتماعى نقول إنها مجرد سحجات وكدمات بسيطة على القشرة والجلد وليست إصابة خطيرة فى الصميم والوجدان والقلب والعقل.. وإن أصالة وقيم الناس مازالت بخير لم يمسسها سوء.. ومن بين مظاهر هذه الأصالة والقيم الصميمة خفة الدم المصرية.. كنا دائماً نفخر بأن شعبنا خفيف الظل يستطيع أن يستخرج من كهف الظلمات وجبل المشاكل بصيص نور ومادة للسخرية والضحك.. حتى إذا كانت السخرية مرة وكان الضحك باكيا.. لكن يبدو أن الإصابة هذه المرة وفى هذا الزمان أعمق من مجرد السحجات والكدمات والخدوش.. فقد طال الخلل خفة دمنا.. وتحولت خفة الظل بفعل فاعل إلى خفة عقل وإلى حالة من الاستهبال والاستعباط العام.. فقد صار الضحك كثيرا والدم ثقيلا والعقل خفيفا.

ولم تعد النكتة المصرية عبقرية ولماحة وذكية كما كانت.. بل صارت قبيحة وقحة وبلهاء يضحك من يلقيها أضعاف من يسمعها.. ولا تخلو نكتة الآن من ألفاظ فجة جنسية واختفت النكات السياسية والثقافية والاقتصادية التى كانت الواحدة منها تغنى عن كتاب كامل فى تشخيص الحالة.. واختفى الظرفاء الذين سجلوا أسماءهم فى التاريخ بخفة ظلهم وسرعة بديهتهم وأصبحنا جميعا مستظرفين.. نضحك نفاقا ورياء وليس حقا وصدقا لنكتة يلقيها غنى على فقراء أو رئيس على مرءوسين ونتبارى فى رفع صوتنا بالضحك ليعلم من ألقى النكتة أنها أعجبتنا وأن دمه خفيف.. بينما لو تخلى عنه ماله أو تخلى عنه منصبه لأصبح "دمه يلطش".

وفى تفسير خفة العقل التى حلت محل خفة الظل يقال إن النكتة العبقرية وخفة الظل الجماعية لا تظهر إلا فى العهود الديكتاتورية وفى ظل الحكم القمعى حيث يلجأ الناس إلى الرمز والنكات للتنفيس والتنفس - كما حدث فى الاتحاد السوفيتى المنهار - حيث كانت النكتة السوفيتية فى غاية الذكاء والعبقرية.. مثل الشمس التى تظل حزينة منذ أن تشرق وعندما تغرب تتنفس بارتياح قائلة: ها أنا أخيرا فى الغرب.

لكنه مجرد تفسير مغرض لتبرير القمع والديكتاتورية.. وهناك تفسير أراه أكثر صدقا لغياب خفة الدم وسيادة خفة العقل وهو أن الواقع بأحداثه ومعطياته

وتفاعلاته وأفعاله صار نكتة كبيرة جدا.. وأن أعظم ما فى النكتة اللماحة
ية هو صدمة نهايتها وهى صدمة مدوية مدهشة تثير الضحك بقدر ما
مفاجأة.
ع بكل ما فيه صدمنا بمفاجآت كثيرة ومتلاحقة وأحداث متوالية مثل نكات
تكررت الصدمات والمفاجآت حتى أقلعنا تماما عن الاندهاش والشعور
ة وصارت أى نكتة نؤلفها ونلحنها ونخرجها قديمة "وبايخة" إذا قورنت بما
علينا المشهد الحياتى اليومى من نكات سياسية واقتصادية واجتماعية
ية وانتخابية!!.
عد نستطيع مجاراة الواقع فى سخريته واكتفينا بالفرجة على ما يجرى
حنا نضحك من أشداقنا وشفاهنا وأنوفنا لا من قلوبنا.. نضحك مجاملة أو
أو بلاهة أو شماتة.. والأخيرة هى الأكثر شيوعا فينا.. وصرنا نضحك على
ا ولم نعد نضحك مع بعضنا.. أو نضحك بالعدوى حين نتجمع حول فيلم
أو مسرحية إباحية.. فلا القائل خفيف الدم ولا السامع ظريف.. ولم يعد
من يجيد الإصغاء والسمع والإنصات وتلك فضيلة أخرى فقدناها.. فنحن
وفرة من المتكلمين والقائلين ولدينا ندرة من المنصتين السامعين.
حق أن المنحنى فى النازل والمؤشر هابط فى كل المجالات.. وهى ربما تكون
طة" عالمية فقد اندهشت عندما سمعت النجم الأمريكى العالمى مورجان
مان يقول فى مهرجان القاهرة السينمائى إن أفلام زمان كانت أفضل وأفلام
الأيام بلا قيمة ولا مضمون وتغازل شباك التذاكر.. وإن نجوم زمان كانوا
لم.. وهو قول يريحنا كثيرا ويبرىء ذمتنا من الفوضى التى نراها فى وطننا
تنا بكل مجال.. فإذا كانت أمريكا "بجلالة قدرها" لديها هذه الشكوى فعلينا أن
م مستريحين ولا نحزن "فكلنا فى الهوى سوا" ويكفينا فخرا أننا مثل "أوروبا
دول المتقدمة" حتى فى "البلاوى".. وأن "أوروبا والدول المتقدمة" مثلنا تبكى على
طلال وتحن إلى الماضى وما نسميه نحن زمن الفن الجميل.
والبلوى عندنا أعم من أوروبا والدول المتقدمة ولكننا غارقون فى العسل - فنائب
برلمان السابق أفضل من نائب البرلمان الحالى - والسابق فى كل موقع خير من
لاحق حتى قلنا وآمنا واقتنعنا بأن أى تغيير عندنا هو تغيير إلى الأسوأ ورددنا
أسا وقنوطا أن بقاء السيىء إلى الأبد خير من التغيير للأسوأ.. وقلنا إن هناك
نهجا لا حيدة عنه وهو تقديم الأسوأ واستبعاد الأفضل فى كل موقع.. ولم يعد
هناك اختيار على أساس أهل الخبرة وأهل الثقة.. بل الاختيار على أساس أهل
... الفارغة.

وقد انتهى تماما عصر النجوم الزاهرة فى ليالى القاهرة.. وعصر "الكاريزمات" وذوى الهيبة ونعيش الآن عصر الأقزام الذين يصنعون لأنفسهم هيبة زائفة بالمواكب والموتوسيكلات والسيارات الفارهة وشلة من حملة المباخر والمطبلين المزمرين ليخفوا بذلك كله ضآلتهم.. بينما ظل نجيب محفوظ أكثر من نصف قرن يسير على قدميه من عمله إلى بيته ثم إلى مقهاه محتفظا مع ذلك بهيبته ووقاره وقوة تأثيره على الآخرين.

ونجيب محفوظ مجرد اسم فى قائمة طويلة عريضة من ذوى الهيبة والوقار والطرف وخفة الظل ومنهم أدباء وفنانون ووزراء وزعماء ومسئولون كبار كانت لهم هيبة فطرية ربانية لا هيبة مصنوعة وهيلمان" مزيف.. إذا تكلم صاحبه أو خطب أو كتب اكتشفت على الفور ضآلته وسطحيته.

وهكذا نجد أنفسنا مجبرين على الاستعانة بأمثالنا الشعبية القديمة التى تشبه فى عبقريتها نكاتنا القديمة ونقول ما قاله المثل "القوالب نامت والانصاص قامت".. لكنى أجد نفسى مضطرا بفعل الزمن الذى انقلب رأسا على عقب إلى اللعب فى متن المثل لأقول "القوالب ماتت" فالنائم سيأتى عليه وقت ويصحو لكن القوالب التى ماتت هيهات أن تبعث فى الدنيا.. فالقوالب ماتت فى كل مجال والأنصاف هم أبطال المشهد ونجوم الصف الأول الذين تصنعهم مواقعهم ولا يصنعون هم هذه المواقع.. يأخذون أوزانهم وثقلهم من كراسيهم فى الوزارة أو أى موقع مسئولية أو تحت قبة البرلمان.. فإذا تركوا مواقعهم ومقاعدهم عادوا أصفارا كأنهم لم يكونوا يوما ملء السمع والبصر.

لذلك أقول إن الواقع صار نكتة متمددة بطول الأمة وعرضها فلم يعد هناك مجال لتأليف النكات.. والواقع صار أغرب من الخيال لذلك عجز مؤلفو ومخرجو الدراما عن مجاراته وملاحقته ولم نعد نقول "ولا فى الأفلام ولا فى الأحلام" لأن قصص الفساد والانحراف والدجل السياسى والدينى وتصريحات كبار المسئولين وبرامج التليفزيون.. كل هذا واقع أغرب من الخيال وأسوأ من أساطير الأولين وأكثر شراسة ووحشية من أمنا الغولة و"عفريت الليل أبو سبع رجلين" وعفريت العلبة.. كما صار الشعب نفسه شريكا أصيلا فى الواقع المتدنى وهو يدفع بالدجالين والمشعوذين والمنحرفين والمفسدين فى الأرض ونواب سميحة ونواب القروض والنواب القرود إلى مقاعد البرلمان.. الشعب شريك أصيل فى الجريمة ويلدغ من الجحر مائة مرة ولا يثوب.. فالناس كفوا عن إلقاء النكات العبقرية لأنهم هم أنفسهم صاروا نكاتا تمشى على الأرض.. فكل منا أصبح نكتة من لحم ودم إذا كان عنده أصلا دم.. وهكذا نبلع دائما الطعم ونقع فى الفخ والمصيدة وعندما نكتشف أننا خدعنا واخترنا نواب برلمان "نص كم" ونحاول الاعتراض أو الطعن

المجلس سيد قراره "وسيد قشطة" وتسقط الأقنعة والشعارات الدينية والإصلاحية الزائفة مع أول اختبار وينقلب السحر على الساحر لكننا ننسى لأن مسئولينا ونوابنا وممثلينا راهنوا على ضعف ذاكرتنا وكسبوا راهنوا على خواء عقولنا وجيوبنا وعرفوا بيت الداء فينا وهو الجيب.. ون اللعبة كل مرة ويفوزون فى المباراة ونخسر نحن لأن القوالب نامت أو بين الناخبين والعامة أيضا.. والقوالب كذلك ماتت فى الفن والإعلام ثقافة ولم يعد هناك قوالب بين المدرسين وأساتذة الجامعة ورجال كلهم صاروا أنصافا وأشباها.

ت أن ترصد حالة الاستهبال والاستعباط العام وخفة العقل وثقل الظل جول فى الشوارع واركب المواصلات العامة وقف فى أى طابور عيش أو ب وراقب ثنائيات العشق والهوى على الكورنيش واسمع لكنة الشباب فى هم وسجل الضحكات العبيطة والسباب بالأم والأب والأهل كنوع من ة ورفع الكلفة والود بين الكبار والصغار.. وقل لى بعد ذلك رأيك وكيف دمك من كم الاستظراف والاستهبال والدم الثقيل بين النساء والرجال.. ن الأطفال الذين يولدون بجينات الدم الثقيل وبملامح تشى بانحراف مبكر ة مقيتة وبراءة ميتة فى المهد.. حتى أننى أكاد أقتنع بقول من قال إننا فى ادل الناس فيه المواقع.. فاسترجلت النساء وتأنث الرجال وكبر الصغار الكبار واسترق الأحرار وساد العبيد وتولى الأمر غير أهله فانتظروا !!!

"يعملوها الكبار" ويقع فيها الصغار!!

قال لى صديقى وهو يرفع راية التحدى ضد خصومه: أنا لا أخشاهم بل هم يخشوننى لأن لدى من القرائن والمستندات ما يفضحهم.. فقلت له: أنت تخسر يا صديقى فلم يعد هناك من يخشى الفضيحة لأن "اللى اختشوا ماتوا" وأنت ولدت متأخرا جدا بعد أن ماتوا جميعا.. والناس لا يتجنبون الفضيحة بالكف عن الفساد أو الانحراف أو السرقة أو ممارسة الرذيلة.. ولكنهم يتجنبونها بتكبير حجم المسروق "إن سرقت اسرق جمل وان عشقت اعشق قمر" وعندئذ سيلتمس لك الآخرون ألف عذر ويتمنون لو كانوا مكانك.. وزمان ذهب أحد الصحفيين إلى قاض ليطلعه على أحكام فى قضايا تموين ينشرها فى باب بعنوان لصوص الشعب فقال له القاضى: يا أخى.. لصوص الشعب لا يصلون إلى هذه القاعة.. ولا يدخلها إلا من أضاف خمسة مليمات على السعر الرسمى لكيلو الكوسة.. فأغلق بابك الصحفى هذا أو اختر له عنوان "جرابيع الشعب".

وكما نقول إن الدنيا حر أو الدنيا برد أو الدنيا زحمة أصبحنا نقول: الدنيا فساد لكن البرد والحر والزحمة لها مواسم وأماكن أما الفساد فهو طول العام وفى كل مكان.. ولم نعد ندرى هل المناخ هو الذى يصنع الفاسدين أم أن الفاسدين هم الذين يصنعون المناخ وهل المال السائب هو الذى يعلم السرقة أم اللصوص هم الذين يجعلون المال سائبا؟

وجرائم الفساد وحدها دون كل الجرائم يكون المجنى عليه فيها هو المجهول.. أما الجرائم الأخرى فقد اعتدنا أن يكون الفاعل فيها مجهولا والمجنى عليه أو المفعول به معلوما.. لذلك فإن الجهل بالمجنى عليه فى جرائم الفساد يجعل حافز الملاحقة وتعقب الجانى ضعيفا للغاية أو معدوما.. فلا جريمة قتل بلا جثة.. ولا جريمة اغتصاب لمن تمت مواقعتها برضاها.. وجرائم الفساد المالى والإدارى تقع ضد مؤسسات عامة.. وهى فى حكم العرف مجنى عليه مجهول وبلا دية.. كما أن اغتصاب المال العام يقع برضا المجنى عليه أو المجنى عليها.. فلا وجه لإقامة دعوى الاغتصاب فالمؤسسات العامة بما فيها ومن فيها تتم مواقعتها برضاها.

وكل المصائب الكبرى "يعملها الكبار ويقع فيها الصغار" على عكس المثل الشعبى السائر.. هذا يحدث على مستوى الدول والأفراد.. فالكبار صنعوا العولمة ووقع

والكبار صنعوا أسلحة الدمار الشامل.. واكتوى بنارها الصغار.. ويقال
عربى الميمون يقتطع تسعة فى المائة من إجمالى الناتج المحلى القومى
اق العسكرى بينما ينفق على البحث العلمى اثنين من عشرة فى المائة
هذا الناتج منها خمسة وثمانون فى المائة رواتب للباحثين العاطلين
ون مجرد موظفين ويقال إن ستين فى المائة من تجار السلاح فى العالم
عاملون مع العرب وفى أوروبا الغربية بجلالة قدرها لا يتعدى الانفاق
ثنين بالمائة من الناتج الإجمالى.

الم العربى تعتمد الأنظمة على دبلوماسية وسياسة الأسرار.. والأسرار
ع مساحتها دائما فى مجتمع الأشرار.. تكثر الأسرار بين من يضمرون
علون ما يخجلون منه.. كما تكثر بين العجزة والخائفين والمرتعشين.. وفى
ربى غير مسموح بتداول المعلومات والحقائق والأرقام ولكن مسموح
شائعات فالحرية المزعومة التى نتغنى بها الآن هى حرية تداول الشائعات
الحقائق.. وفى مجتمع الشائعات تكون الأرض خصبة للفساد.. وضرب
فى الأسداس وضرب الودع وفتح المندل ودائما نقول إن ما خفى أعظم
دنا أن نعرف فقط المرض الجلدى والطفح على البشرة أما مرض الرأس
لب والورم السرطانى الخبيث فإننا لا نعرف عنه شيئا إلا بعد أن تصبح
يئوسا منها.

إن الأنظمة العربية يسعدها دائما أن تكون الشعوب آخر من يعلم ويؤلمها
تعرف شعوبها الحقائق والمعلومات.. وهذه الأنظمة تشبه شعراء وأدباء ما
حداثة الذين يكتبون لكى لا يفهم أحد.. فإذا فهم الناس غضبوا جدا
وا أنفسهم فاشلين.. فعبقرية أى نظام عربى أو أى شاعر ينتمى لما بعد
ة ألا يفهم أحد.. وفى مناخ كهذا يكون المنهج السائد فى الحكم وفى الأدب
لاقتصاد وفى كل مجال هو منهج "أهل الهوى يا ليل فاتوا مضاجعهم".. فكل
جرى بالمزاج والهوى وليس من حق أحد أن يعرف لماذا ذهب هذا المسئول
غيره.. لماذا ألغى هذا القرار وصدر غيره.. لأنه لا يوجد سبب سوى هوى
من بيده القرار فى العالم العربى.

مناخ الهوى والمزاج والأسرار والشائعات لا يصدق الناس أن اكتشاف أى
ة فساد أو انحراف تم لأن هناك شفافية ونزاهة وملاحقة مخلصة للجرائم
يقولون وعندهم حق كثير إن الكشف عن أى قضية فساد يحدث نتيجة
لاف الحرامية" اختلف الحرامية فظهر المسروق.. ويقولون إن الفاسدين الكبار
ها وأوقعوا فيها الصغار أو أن الفاسدين الكبار "يقرصون ودن" الصغار لأنهم
وا خارج عباءتهم.. وينسج الناس شائعات وأقاويل حول أن الفاسد الذى سقط

كان صديقا أو محسوبا على فاسد أكبر.. وهى كلها شائعات لأن الأنظمة العربية تسعدها الشائعات وتهوى التكتم والتعتيم ومستودع الأسرار.. وهى أنظمة تدير الأمور بالأذن.. حتى قيل يوما إن أى نظام عربى يرصد ما يريده الناس ليعمل عكسه أو ضده ويسعده أن يفاجأ الناس بما لم يكن فى حسبانهم.

ويدهشنى دائما ويضحكنى قول الأمين العام للجامعة العربية إن هناك جهودا تتم بعيدا عن الإعلام والعلن لاحتواء أزمة العراق أو أزمة سوريا ولبنان أو أى أزمة أخرى.. وعندما أسمع منه ذلك أتيقن بأنه لا توجد جهود ولا يحزنون.. وإنما هى دائما دبلوماسية الأسرار لإضفاء أهمية وهالة على ما لا قيمة له.. ولأننى أعلم أن العرب لم يصنعوا أزماتهم وبالتالى فإنهم لا يملكون حلها فأزماتنا مستوردة مثل غذائنا وحلها لابد أن يكون مستوردا لأن من أشعل النيران يطفئها ومن بدأ المأساة ينهيها على رأى الشاعر الراحل نزار قبانى.. أزماتنا مثل سلاحنا وغذائنا وأفكارنا صنعها الكبار ووقعنا فيها نحن الصغار.. وفسادنا أيضا صنعة الكبار ووقع فيه الصغار فنحن ندفع الفاتورة التى يكتبها ويحدد أرقامها الكبار فى الخارج ووكلاؤهم فى الداخل.

ولا يوجد أى شيخ تحت القبة العربية وإنما هم مثل الرجلين اللذين دفنا حمارا وأقاما له ضريحا وقبة ومولدا سنويا ليتكسبا من ورائه وعندما تزاحم الناس على مولد الشيخ الحمار وجرت الفلوس فى يدالرجلين.. اختلفا على الغنائم فقال أحدهما للآخر "ده احنا دافنينه سوا" فصارت مثلا.. وهكذا فإن تحت القبة العربية الضخمة أو القمة العربية الدورية أو الطارئة حمارا ميتا أو فأرا وهناك دائما جلسات مغلقة وسرية "على ما فيش" وهم أيضا مثل الرجل الذى اشترى خزينة ضخمة بألف جنيه ولها مفتاح بأرقام سرية ليحتفظ فيها بثلاثة جنيهات.

فالمسألة ليست فساد أفراد وإنما فساد مناخ ومنهج.. والفاسد فى موقعه ليس أقل فسادا ممن اختاره لهذا الموقع.. والشعوب العربية لم تعد تعبأ بما ظهر من قضايا فساد ولكنها تنتظر ما خفى واستتر ودائما تردد "ياما فى الجراب يا حاوى" وبراءة الفاسد فى العالم العربى تكون دائما نتيجة لعدم كفاية الأدلة ولعدم قيمة المجنى عليه الذى هو مال عام.. إنها براءة صنعتها يد القانون القصيرة لاتقاء ذمة الفاسد أو المنحرف البرىء.. ودائما هناك فى العالم العربى دخان كثيف ولكن النار لا تظهر أبدا فى القمة.. بينما يكتوى أهل القاع بنار دخان مثل نار الأسعار والاحتكار والسلام الذى لا يأتى والرخاء الذى لا يتحقق والحقائق الغائبة والشائعات الحاضرة والمسيطرة على المشهد "وعمايل الكبار التى يدفع ثمنها الصغار".

أن هناك قوادة ليل ودعارة هناك أيضا قوادة سياسية فى العالم كله وكلام
لتحلية بضاعة فاسدة.. وزمان سمعت سياسيا عربيا يقول إن من يجلس
مة وعلى عجلة القيادة ير أكثر ولا ينبغى أن يعبأ كثيرا بآراء الشعوب ركاب
ة التى يقودها وهو كلام يعجب الناس مثل لاعب كرة القدم الذى "يرقص
لأرض وينتزع آهات الجماهير لكنه لا يسجل أى أهداف ويخرج فريقه
ا.. فهذا السياسى يتحدث عن سيارة أجرة "ميكروباص" صارت ملكا لمن
الأجرة وركبوا وصار هو عاملا عندهم بالأجرة وعليه أن يلتزم بوجهتهم
م وإذا أراد أن تكون له الكلمة وألا يعبأ بآراء الناس فليقلب سيارته "ملاكى"
يرى الحكام العرب أن بلادهم وشعوبهم سيارة ملاكى وعلى ركابها أن
ا بما يراه السائق صاحب السيارة.

شكلة الشعوب بالفعل أنها تطرب للكلام المعسول وتنسى وتغفر الفعل
وم.. تنسى الفساد عندما يقال فى كل قضية.. لن نسمح بالفساد وسنضربه
ن حديد.. وتنسى نار الأسعار عندما يقال لها: لا مساس بالدعم وتنسى
لة عندما يقال لها إن الإسلام هو الحل.. فلا الفساد يتم ضربه بيد من حديد
فيح أو ورق ولا الدعم يبقى.. ولا الحل يأتى لأن المسئولين العرب لديهم دائما
ة على أسئلة لم نطرحها.. ولدينا أسئلة لا يملكون لها أجوبة.وهم مهمومون
غولون بالكراسى.. ويريدون منا فقط أن نهتف لهم "مسا التماسى يا ورد قاعد
الكراسى".

الجائزة الأولى فى قلة الأدب!!

مسكين المهندس نجيب ساويرس فقد دخل عش الدبابير وحزام الزلازل ووقع فى حيص بيص وهو يدرى أو وهو لا يدرى وإن كان لا يدرى فتلك مصيبة وان كان يدرى فالمصيبة أعظم.. وعش الدبابير الذى سقط فيه ساويرس هو حظيرة المثقفين.. وهكذا وجد الرجل نفسه فى مرمى سهامهم وسيوفهم وألسنتهم وأقلامهم.. فالمثقفون العرب عموماً مغرمون بالتفتيش فى النوايا والسرائر والبحث عن الأهداف والمرامى الخافية.. ولا يحبون تفسير الأمور والسلوكيات بظواهرها فذلك فى رأيهم شأن العامة والدهماء.. وعندهم أن لكل سلوك وفعل هدفاً مستوراً وأن وراءه تورية ينبغى البحث عن معناها البعيد لا القريب.

ويبدو أن المهندس نجيب ساويرس يسير على نهج الاقتصادى الرائد طلعت باشا حرب الذى احتضن الفن والثقافة وكان له باع طويل فى صناعة السينما وتشجيع النخبة الأدبية والثقافية لكن ساويرس فاته أن الزمن غير الزمن والمناخ غير المناخ وأن الناس بالأمس كانوا أكثر نقاء وكان الجميع ينتمون إلى "عيلة الدوغرى" بلا توريات ولا موارية ولا سوء ظن.. فقد ابتدع المهندس ساويرس جائزة كبرى للأدب كان ينوى أن تكون سنوية وأظن أنه سيعيد النظر فى مشروعه بعد الذى حدث فى الأيام الماضية عندما أعلنت الأسماء الفائزة بهذه الجائزة فى عامها الأول.

الجائزة خصصت لجيلين من الأدباء.. جيل الكبار وجيل الشباب وقيمتها الإجمالية ثلاثمائة ألف جنيه وكان يمكن أن يمر الأمر مر الكرام والسحاب لو اقتصرت الأسماء على محمد المخزنجى فى جيل الروائيين الكبار وحسن عبدالموجود ونسمة يوسف ادريس من جيل الشباب.. لكن المثقفين كعادتهم فى البحث عن المستور قالوا إن ساويرس بحكم خبرته فى الدعاية والإعلان والترويج لم يشأ أن تمر جائزته بهدوء فى عامها الأول فقرر اختيار اسم صادم ومفاجىء يثير الزوابع والأعاصير ويعطى زخماً إعلامياً لجائزته.. فقد قامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن عندما فاز بجائزة جيل الكبار الأديب النوبى حجاج حسن أدول.

أما أنا فأقول إن ساويرس لم يقصد الدعاية ولا الاسم الصادم لكنه وقع فى الفخ وهو لا يدرى.. سقط فى عش الدبابير وهو لا يقدر العواقب ولا يعرف طبيعة دنيا المثقفين ولا تضاريس دولتهم ولا يعلم شيئاً مما ارتكبه الأديب الفائز حجاج حسن

ليل على جهل ساويرس بما يجرى فى الساحة ما حدث فى حفل تسليم
فقد انبرى عدد من الأدباء والناشرين يهتفون ضد فوز حجاج بالجائزة
هرع إليهم ساويرس وهو فى حالة رعب وراح يقول بصوت مرتعش:
و سمحتم.. اجلسوا.. أرجوكم.. من فضلكم ولكن المثقفين لا يقتنعون بهذا
ذى ذهبت إليه ويقولون إن النية مبيتة مسبقاً لكى يفوز حجاج بالجائزة وأن
ائزة ولجنة تحكيمها يعلمون تماماً ما ارتكبه حجاج بدليل أن مقررة لجنة
لدكتورة مارى عبدالمسيح أستاذ الأدب الانجليزى قالت فيما يشبه الاعتذار
غير المنطقى أثناء إعلان فوز حجاج: إن الجائزة للكتاب وليست للكاتب!!
ارتكبه حجاج حسن أدول فهو فى رأى الجميع من الكبائر وعظائم الأمور..
هر على الأكثر من فوزه بجائزة ساويرس كان حجاج أحد أبرز الحضور فى
لسمى مؤتمر أقباط المهجر الذى عقد بالولايات المتحدة.. وقد وجه منظمو
لدعوة إلى حجاج بوصفه زعيماً لحركة تحرير النوبة.. ويبدو أن حجاج أدول
يرد واجب الضيافة والإقامة الفاخرة والطعام السمين والشراب المراق
السياحية التى لم يكن يحلم بها.. فوقف فى المؤتمر خطيباً مفوهاً ليلهب
ويشعل الأكف بالتصفيق والهتاف حيث قال إن شعب النوبة.. كما أحب أن
يتعرض للتطهير العرقى والإبادة الجماعية.. وتكفى الجملتان لإعطاء المؤتمر
ولياً هائلاً.

ما قاله الأديب النوبى الأشهر سوى ما قاله حجاج أدول سوى ما قاله الأديب النوبى الأشهر
لدى تعليق على تخريف حجاج أدول سوى ما قاله الأديب النوبى الأشهر
على من أن حجاج أدول لا يعرف معنى التطهير العرقى ولا المقصود بالإبادة
عية.. أو ما قاله الأديب النوبى الكبير يحيى مختار من أن النوبيين لم يفوضوا
ج أدول ممثلاً لهم وأن بيانه النارى فى مؤتمر اقباط المهجر إهانة للنوبيين
ربين جميعاً.

ل يحيى مختار: إن أدول فاز بجائزة الدولة وحصل على تفرغ لمدة خمس سنوات
ز روايته المسماه "معتوق" والتى حصل بها على جائزة ساويرس.. فحجاج لا تعنيه
ضية حجاج نفسه وليس مشغولاً بقضية النوبة ولا بقضية مصرية أو عربية أو
ية فقد تجاوز الرجل الستين ولم يتحقق ولم تظهر له بصمة ولا وجود على
حة الأدبية رغم أنه قال من قبل إنه أفضل من تولستوى وأنه سيصل إلى العالمية
اً وأن الناس سيفهمون أدبه عندما ينضجون.. لكنه لم يصل إلى العالمية ولم يفهم
أدبه لكنه نجح فى أن يجعل كل الناس يفهمون "قلة أدبه".. فقد وجد حجاج أن
سر الطرق إلى الشهرة والذيوع هو أن يسبح ضد تيار وطنه كله.. وهكذا يفعل كل
رات فى دنيا الثقافة والصحافة والسياسة العربية فهم يرون أن أقصر الطرق إلى
يوع هو السير فى الاتجاه المعاكس للأمة والوطن.. فالأمة إذا كانت متدينة

يجرحون تدينها وقيمها باسم الحرية والإبداع وإذا كانت لديها قضية قومية يتبارون فى تسفيه تلك القضية.. وهو منطق قديم تبناه النكرات فى كل زمان ومكان.. وهو منطق خالف تعرف.. وهو نفس المنطق الذى تبناه من قبل سلمان رشدى وغيره من الذين فشلوا فى الأدب فأرادوا أن ينجحوا ويشتهروا بقلة الأدب.

والمشكلة أن الرذاذ طال المهندس نجيب ساويرس فقد أجمع الأدباء على أن جائزته ملفقة وأن صاحبها وهو ساويرس افتقد الحس السياسى وهو يرفع حجاج أدول إلى منصة التكريم ويعطيه مائة ألف جنيه مكافأة على قلة أدبه.. وأن هناك مثقفين لهم وزنهم سقطوا فى الفخ مثل ساويرس ومنهم الكاتب الصحفى الكبير سلامة أحمد سلامة الذى سلم الجائزة لحجاج أدول وقال فى الحفل إن كل ما قيل عن أن حجاج أدول ذهب إلى مؤتمر أقباط المهجر وألقى فيه بيانا نارياً يثبت عدم صدقه.. رغم أن حجاج نفسه لم يجرؤ على نفى الواقعة.. ولم يرد على ما ورد فى صحيفة أخبار الأدب التى نشرت بيانه فى المؤتمر قبل إعلان جائزة ساويرس بثلاثة أيام.

ولا أظن أن الدولة فى مصر ستسمح لحجاج بأن يكون بطلاً وشهيداً وصاحب قضية بأن يتم القبض عليه والتحقيق معه.. بل ستفوت عليه تلك الفرصة التى يتمناها وستغض الدولة الطرف عن طنين الذباب حتى لا يتحول إلى زئير أسود.. لكن المشكلة الكبرى فى الحرج الشديد الذى وقع فيه نجيب ساويرس.. فقد سبق للرجل أن خصص جائزة لكتاب السيناريو على ما أظن وهى عبارة عن رحلة إلى أمريكا لدراسة فن السيناريو على نفقته وكان كاتب سيناريو فيلم "بحب السيما" أحد الفائزين لكن الجائزة توقفت عند إعلان الأسماء ولم يسافر أحد "وكفى أهل الفن على الخبر ماجور" ومر الأمر بلا لفط.. لكن دنيا المثقفين تختلف تماماً.. فالحبة فيها قبة.. ودبة النملة تصبح خف جمل.. ونجيب ساويرس رجل أعمال يلعب فى المجال الاقتصادى القائم على الصمت والهمس والسرية أما عالم المثقفين فهو عالم بلا أسرار ورأسماله اللسان الطويل والقلم الأطول والداخل فيه مفقود والخارج أيضاً مفقود.. وهو عالم لا تستطيع أن تكون فيه محايداً ولابد من تصنيفك فى أى اتجاه.. فإذا صمت وهم يتكلمون فأنت دسيسة ومخبر جندته المباحث لمعرفة أخبارهم وإذا اعترضت على سياسات الغرب فأنت شيوعى.. وإذا استشهدت بآية قرآنية أو حديث شريف فأنت إسلامى.. حتى قال الأديب الكبير خيرى شلبى إنه لم يجد أمامه سوى الهروب والسكن فى المقابر لينجو من تصنيف المثقفين له.

وهكذا دخل ساويرس دائرة التصنيف من أوسع أبوابها فالرجل قبطى.. ومؤتمر المهجر أقامه أقباط.. وحجاج أدول ذهب إلى المؤتمر ليعرض قضية النوبة ونشط هواة التصنيف فى توصيل الخيوط ببعضها ليصلوا إلى النتيجة التى يريدونها وترضيهم حتى إذا كانت غير حقيقية.. وغاية الأمر عندى أن ساويرس ضحية خديعة

سن النية "وصعيدى زى حلاتى" وتورط فى أدول ومعه.. ربما أراد أن
صادمة كنوع من الدعاية بمنحها لاسم مجهول أدبياً لكن السحر انقلب
.. وصار الأمر أن ساويرس كافأ أدول على بيانه فى مؤتمر أقباط المهجر
ائزة الأولى فى قلة الأدب.. ولا أظن أن صمت ساويرس الاقتصادى
اً فى هذه السقطة الثقافية.. وعليه أن يتكلم وليس أمامه سوى أن يقول:
.. ومن قال لا أدرى فقد أفتى.

يشبه الإجماع على أن جائزة ساويرس قيمة وهناك أمنية بأن تستمر كل
ناك اجماعاً أيضاً على أنها ذهبت فى عامها الأول إلى من لا يستحق وأن
ة فى جائزة ساويرس كفر.. وهذا رأى قامات أدبية كبيرة مثل صنع الله
راهيم أصلان وجمال الغيطانى ويقال إن ساويرس شارك فى الجريمة
غناطيسياً أو تحت تأثير عدم العلم.. لكن قانون المثقفين لا يرحم من
لا مانع لدى المثقفين والصحفيين الذين يكرهون بعضهم عادة من أن
باباتهم مع بعضهم عن طريق تسفيه الجائزة وصاحبها ساويرس.. كل شىء
ا لا يختلف عليه أحد هو أن حجاج أدول ارتكب كبيرة فى حق وطنه وأهله
ط والمسلمين والنوبيين وأن الدكتورة مارى عبدالمسيح أو نجيب ساويرس أو
أو نوبى أو بدوى أو صعيدى مصرى لو وجهت إليه مائة دعوة لحضور
باط المهجر ما لباها.. ويمكن لأى طائفة أو سكان أى منطقة جغرافية فى
يتحدثوا عن ظلم أو تجاوز فى المناصب أو المواقع أو تجاهل فى الخدمات..
يقول ذلك الصعايدة أو البدو أو الأقباط أو النوبيون أو النساء أو الفقراء
لكنهم يقولونه داخل مصر ولن يخطر ببال أحدهم مهما بلغ تبرمه وسخطه
غضبه أن يقول إنه يتعرض لتطهير عرقى أو إبادة جماعية إلا إذا كان مثل
ول لا يفهم معنى المصطلحات ويتصور أن التطهير العرقى معناه "الطهارة أو
وأن حرف العين عنده ضائع وعندما أراد أن يقول "العبادة الجماعية قال
جماعية!".. وهذا هو الأقرب إلى الصواب لأن "أدول" فى الأصل تعنى
. وكل نجيب بالإشارة يفهم.. ولله فى خلقه شئون.

"شالو ألدو..
وجابوا شاهين"!!

الأمم كالأفراد تولد وتشب وتشيخ وتصاب بالخرف والمرض والفرد عندما يشيخ ويصاب بالخرف ينسى ماحدث منذ ساعة ويتذكر جيدا وبكل التفاصيل ماجرى منذ خمسين عاما.. فهو بلا حاضر ولا مستقبل وذاكرته مضبوطة على الماضى البعيد.. وكذلك الامم التى شاخت وترهلت تعيش على الاستدعاء والتذكر ولاتمتلك ذاكرة التخطيط والتفكر.. والفرد عندما يشيخ تتعطل الساعة التى تضبط انفعالاته وسلوكه وتنقطع الصلة بينه وبين مايدور حوله وتكون أذناه همزة الوصل الوحيدة بينه وبين الدنيا.. فيعشق الشائعات والاقاويل ويحكم على الأمور بهواه لانه عقله توقف عن العمل.. وكذلك الامم التى تهرم يتحكم فيها الهوى والمزاج وتقول ولاتفعل.. وتنفعل ولاتعقل وتلعب بالنار ولاتقدر العواقب.

ومن اعراض المرض العضال فى أى امة ان يصبح تغيير الاشخاص فيها غاية لا وسيلة وخبرا مدويا تتناقله الصحف وتتسابق على ابرازه فى صفحاتها الاولى.. وان تمتلئ الدنيا بالتكهنات والشائعات حول ذهاب فلان ومجئ غيره.. وان يتحول الامر الى بورصة تصعد فيها اسهم اناس وتهبط اسهم اخرين.. وأن يفرح الناس بذهاب مسئول عن موقعه اكثر من فرحهم بمجئ مسئول جديد.. فالناس يسعدون لمن خرج ولا يعنيهم من دخل.. رغم ان التغيير او التعديل الوزارى الان فى الدنيا كلها حتى فى دول صغيرة للغاية لايأخذ هذا الحجم الذى يأخذه فى مصر .. لان العالم كله أيقن ان الخطط والبرامج والقواعد راسخة ويتبادل الاشخاص تنفيذها.. فلا عجب ان يذهب وزير ويأتى آخر ولايستحق الامر كل هذا الطبل والزمر "ووشوشة الدكر" وضرب الرمل.

•زمان كان يحلو لنا فى جلسات الشباب ان نتندر ونسخر من لعبة التغيير الوزارى عندما يأتى موسمها وكنا نشكل وزارات على مزاجنا كنوع من السخرية والايحاء بأن "كله عند العرب صابون" فكنا مثلا نشكل وزارة اسمها وزارة التموين وشئون الازهر او وزارة الخارجية واستصلاح الأراضى أو وزارة الأوقاف والطيران المدنى أو وزارة الرى والشئون الاجتماعية أو الاسكان والتجارة الخارجية أو الصحة وشئون المصريين بالخارج.

ويبدو أننا كنا سابقين لعصرنا وان ما كان بالأمس نكتة نضحك عليها حتى

... اصبح اليوم حقيقة حيث يحدث شئ من هذا فى مسألة دمج الوزارات
رت وتجرى.. وكأنها محاولة لتوفيق مالايتفق وتوليف مالا يأتلف ولزوم ما
على رأى أبى العلاء المعرى.

ل قائل ان المسألة كلها على بعضها لم تعد تساوى ان يتعب المرء ذهنه
ويجتهد ويبحث عن اسباب لخروج وزير ودخول آخر.. والغاء وزارة وبقاء
ودمج ثالثة.. لأنه فى الغالب لاتوجد اسباب ولامبررات ولامنطق فيما
.. ولافرق بين ان يبقى الوضع على ماهو عليه أو يتغير ولاجديد إذا "شالوا
جابوا شاهين".. لكن المشكلة أن الناس يريدون التغيير لذاته ربما لاحساسهم
و الزهق.. وربما لأن المسئولين يبقون فى مواقعهم طويلا حتى يصاب الناس
ناق.. والشاعر يقول:

وطول مقام الماء فى مستقره ... يغيره ريحا ولونا ومطعما

س ملوا وزهقوا من السابق ولا أمل عندهم فى اللاحق وتلك هى الطامة
ى ان يكون الناس راحة وان يغسل الناس ايديهم من الوضع برمته وكأن الامر
هم وان تصبح ام المعارك لدينا هى معركة التغيير الوزارى وكأن قضايانا كلها
م حلها ووصلنا الى مرحلة الترف التى ننشغل فيها بذهاب ألدو ومجئ شاهين
ا يتلقى مرمانا المزيد من الاهداف ونحن نضحك ولانبالى وبينما التغيير
رى فى دول العالم حتى الدول العربية حولنا مثل "شكة الدبوس" لايكاد يشعر
حد ولا تتوقف عنده الدولة والشعوب طويلا كما نفعل.

لمدهش فى الأمر.. ورغم اننى اقلعت عن الدهشة منذ سنين ان التغيير الوزارى
نا أمر معروف ومفهوم دستوريا منذ انتخابات مجلس الشعب والمفترض انه
 مفاجئا ولاصدمة وان الامر يتم الاعداد له منذ شهور.. فما الذى ادى الى
 التخبط وصعود اسماء وهبوط اخرى.. وتشكيل حكومة ثم العدول عن بعض
ائبها؟ وكيف تكون الصحافة قد استبقت الاحداث ورجمت بالغيب اذا كان من
لهم رئيس الوزراء قد خرجوا من عنده وصرحوا أو صرح بعضهم بأنه تسلم
يبة كذا وسيفعل كذا وكذا فى المرحلة المقبلة؟

قد اعتادت الصحافة ان تكون الشماعة التى يعلق عليها المسئولون تخبطهم
خطاءهم واندفاعهم فى التصريحات غير المحسوبة فإذا وقع "الفأس فى الرأس
ارع المسئول بالقول ان الصحافة استبقت الاحداث وكذبت وادعت وان ماقيل
جرد كلام جرائد.. رغم انه فى الواقع كلام مسئولين فلا توجد صحيفة قومية
ذات يمكنها ان تنسب لمسئول مالم يقله.. وكثيرون للاسف يدارون "خيبتهم" فى
صحافة ويمسحون افواههم الملوثة بسمن وعسل التصريحات فى ثوبها.

وبطالبون الصحافة بالمصداقية وتحرى الدقة وهو ماينبغى ان يطالبوا به انفسهم ولكن اكثرهم لايفقهون.

والمضحك ان لسان كل مسئول جديد مضبوط على كلمة المرحلة القادمة والأجيال القادمة مثل الحلاق الذى كتب على محله ان الحلاقة غدا مجانا وكلما ذهب اليه زبون أملا فى الحلاقة المجانية اخذ منه أجر الحلاقة واشار الى اللافتة قائلا: غدا.. وهذا الغد لن يأتى أبدا.. وكذلك المرحلة القادمة والاجيال القادمة لاتأتى.. والمؤسف أيضا أن المناصب عندنا صارت بلا اختصاصات وأن اصحاب المواقع صاروا بلا عمل وأن المواقع صارت تشريفا لاتكليفا وأن الوزير يريد فقط ان يحصل على لقب وزير سابق حتى تنفتح له الأبواب المغلقة إذا ترك منصبه .. كما انه ليس مطلق اليد فهو أحيانا مثل حارس المرمى الذى لم يختبر ولم يسدد احد الى مرماه أى كرة.. لكن يتم تغييره بمزاج المدير الفنى ليس الا.

ومن اعراض المرض فى أى أمة أن يكون فى كل مؤسسة مائة مدير على ثلاثة موظفين والف عمدة على عشرة فلاحين وان يتكالب الناس على القاب ليعلقوها كلافتات على مكاتبهم.. وهذا يحدث عندنا بشكل مبالغ فيه فمن ليس له عمل او خرج على المعاش او ترك وزارته يصبح مستشارا وكبير مستشارين أو أى لقب شرفى "يسد عين الشمس" لكن فى النهاية بلا عمل ولا اختصاص محدد.

ومن اعراض المرض العضال ايضا ان تغيب القواعد والمعايير وتصبح الغلبة والاولوية فى الترقى او تقلد المناصب وشغل المواقع التى بلا عمل للاعلى صوتا او الاخف دما او الاطول باعا فى النفاق والتزلف.. وأن يصبح المنصب مجرد مكافأة لمن دخل مزاجنا واعجبنا كلامه.. وتلك هى ثقافة الزحام التى نعيشها.. فالزحام لايعطيك فرصة الفرز والتأمل واختيار الأكفأ والاولى والأحق لان الغلبة فى الزحام للأقوى جسدا وعضلات والاعلى صوتا حتى اذا كان بلا عقل ولا كفاءة.

ويقول لى البعض.. ان الدنيا ليست سوداء الى هذا الحد الذى تتحدث عنه فأرد عليه بسرعة : ليتها كانت سوداء.. فالمشكلة ان الدنيا ليست سوداء ولا بيضاء لكنها رمادية وهذا هو اللون الاخطر وعلامة المرض فى أى أمة.. فاللون الذى يزعجنى ليس الاسود ولا الابيض ولا الاحمر.. ولكنه اللون الشاحب او يسمونه لون الموت.. وهو دائما اللون الذى ليس لونا هو لون محايد ولاتعرف موقعه من الاعراب.. ونحن نقف منذ فترة طويلة ويبدو انها ستطول اكثر فى المنطقة الرمادية او المنطقة الوسطى ما بين الجنة والنار وهى منطقة غير موجودة اساسا.. أى أننا نقف فى منطقة لا وجود لها.

واقفة فى المنطقة الرمادية او الشاحبة ليس فيها رأى عام ولا اجماع
ولامنهج تسير عليه فلا هى اشتراكية ولا هى رأسمالية.. مصيرها فى
خاص وليست محكومة بقواعد وخطط واهداف محددة وواضحة.. واى
ظام يرتبط بشخص يموت بموته وينهار بذهابه لتبدأ الامة منهجا جديدا
س جديد لتكون سرعتها وحركتها دائما صفرا.

ن ان الكلام سيجدى لان الناس مشغولون عن كلامى هذا بالتفكير فى حل
الوزارية والحكومة جادة جدا فى طرح المسألة على شكل فزورة وسعيدة
ن تقول للجميع: ان الحل الذى توصلتم اليه خاطئ وسعيدة اكثر لانها
حلا مفاجئا لايخطر ببال احد.. فالمسألة عندنا اصبحت كلها مثل الجنة
لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر.

محاكمة الأستاذ حمام!!

مازلت وسأظل ادعو نفسى وإياكم إلى اعادة النظر فى كل ما اصبح مسلمات وبديهيات لا تقبل النقاش.. أدعو نفسى وإياكم الى مناعة قوية ضد كل المصطلحات والمفاهيم التى تنهمر على عقولنا من الارض والفضاء وهى فى حقيقة الامر هشة لا تصمد أمام لحظة تأمل واعادة نظر.

ومن المفاهيم والمصطلحات التى تغيظنى جداً ونرددها جميعا بلا وعى ولا تأمل.. مصطلح قبول الآخر.. كل من ادركته حرفة الثقافة أو السياسة يدعوك ويدعونى ليل نهار الى قبول الآخر.

والآخر الذى يدعوننا الى قبوله وتقبيله والتسليم بما يقول هو الآخر الغربى.. الأمريكى أو الاوروبى ولا أحد سواه.. فنحن العرب والمسلمين متهمون من الغرباء ومن بنى جلدتنا ومن حكامنا ومن نخبتنا المثقفة بأننا نرفض الآخر الغربى.. ورفض الاخر يعنى التعصب والتشدد والتطرف والإرهاب.. أى أننا أمام خيارين لا ثالث لهما.. فإما أن نسلم قيادنا للآخر أو نواجه تهمة الإرهاب.

والداعون الى قبول الآخر والمسبحون بحمد الاخر يضعون العربة أمام الحصان.. لأن المشكلة والقضية التى تستحق البحث هى ان الاخر هو الذى لا يقبلنى.. الاخر هو الذى لن يرضى عنى حتى اتبع ملته ومنهجه وادخل معه " جحر الضب".. فهو الذى ينبغى ان توجه اليه الدعوة والرسالة والالتماس والرجاء بأن يقبلنى ويرضى عنى - ولن يفعل.

وطوال تاريخنا الحديث نحن العرب نعانى مشكلة مضادة لمشكلة قبول أو رفض الآخر.. وهى مشكلة "عقدة الخواجة".. فنحن لم نرفض الاخر الغربى يوما أو لحظة من تاريخنا الحديث أو القديم - بل اننا نعانى عقدة الآخر الخواجة.. فبضاعة الخواجة الغربى فى رأينا أفضل.. وتقاليده افضل وافكاره اكثر تحضرا.. وهو الأمين الصادق الخبير الذى لا ينطق عن الهوى.. وهو الذى اذا قال نسمع ونطيع وهو الأمهر فى الطب والهندسة والاخلاق.. وهو الذى نستعين به فى تحديث صناعتنا وهيكلة مؤسساتنا - ولديه الحل لكل مشاكلنا وهو جهيزة التى تقطع قول كل خطيب منا وهو جهينة التى عندها الخبر اليقين وهو خزام التى اذا قالت صدقناها لأن القول ما قالت خزام.

مائنا ومفكرينا ورواد نهضتنا ان كانت لنا نهضة وقعوا فى غرام الآخر
ن أول نظرة.. حتى الإمام محمد عبده عندما حط رحاله فى باريس
قرن التاسع عشر قال دون ان يطرف له جفن أو يتلعثم لسانه: "رأيت هنا
بلا مسلمين وفى بلادنا مسلمون بلا اسلام". هكذا ببساطة وبتعميم غير
من مفكر وعالم كبير.. لا لشىء إلا لأن الرجل أصيب فورا بعقدة الخواجة
مدينة النور بصره وبصيرته ووقع فى هواها.

الآخر الغربى مقياس التميز ودليل الرقى.. فمن اقامها فقد اقام العلم
ضر والثقافة ومن هدمها وجهل بها نال الاحتقار والازدراء.. والعالم المحيط
العربية أو لغة الأنا لا وزن له ولا قيمة وهو دائما مثار سخرية.. وليس من
الصدفة ولا العشوائية ان يكون مدرس اللغة العربية "مسخه" أو مسخا
ا ورمزا للدونية.. وذلك ما رسخ فى الاذهان وصار مسلمة وبديهية منذ وضع
ى الريحانى اللبنة والاساس لذلك فى السينما بفيلمه "غزل البنات" حيث صار
اذ حمام من يومها المثال لكل مدرس لغة عربية.. ولم يسأل أحد نفسه حتى
.. لماذا لم يكن الاستاذ حمام مدرس لغة انجليزية أو فرنسية أو كيمياء أو
ياء؟.. ولماذا سار هانى رمزى على نفس الدرب بعد اكثر من نصف قرن فى
سله "مبروك جالك قلق"؟.. لماذا اللغة العربية بالذات؟

لاجابة السريعة والصادقة هى ان الجمهور "عاوز كده" لأنه لا يصدق أن يكون
رس آخر مثار سخرية غير مدرس اللغة العربية.. لأننا نحن العرب نعانى عقدة
خواجة ونقبل الآخر حتى الانبطاح.. بينما نرفض الأنا.. نرفض بعضنا ونكره
ضنا فالخليجى والشامى والمغربى والمصرى والسودانى يكرهون بعضهم كراهية
تحريم.. وكل منتخب أو ناد عربى يسعده ان ينهزم من الاخر الغربى مائة مرة فى
باراة الواحدة.. ويؤلمه حتى الموت ان ينهزم من منتخب أو فريق عربى.. وانتصار
عربى على العربى يوم عيد وطنى.. وكل المنافسات والدورات والمهرجانات العربية
فاشلة وتنتهى بمذابح وخصام وحروب كلامية لأننا نكره بعضنا ولا نقبل الأنا..
ينما نذهب الى أى مهرجان أو مسابقة أو دورة غربية ونحن مهزومون مسبقا
كتفين بالتمثيل المشرف والسعادة بأن الآخر قبلنا وسمح لنا بهذا الشرف والمكانة
حتى "لو أخذنا على قفانا" منه ولا تصدق كلمة الشقيق التى نصف بها كل شعب
عربى أو بلد عربى أو فريق عربى.. فهذا كلام رسمى استهلاكى ومحاولة لاخفاء
الكراهية المتبادلة بيننا والتى زرعها الحكام وبدأوها وتوارثتها الشعوب جيلا بعد
جيل.. والوساطة العربية فى مشكلة عربية مرفوضة بينما الاوامر والإملاءات
الغربية مقبولة "وعلى قلبنا زى العسل".. والجامعة العربية اكبر تجسيد للكراهية
المتبادلة بين العرب بخروجها من فشل ودخولها آخر.. والجاليات العربية فى

الغرب مختلفة على كل شىء لكنها متفقة على تبادل الحقد والكراهية.. والايام القادمة حبلى بكراهيات أعمق واشد خطرا فبعد ان كانت الكراهية متبادلة بين دولة عربية واخرى ستصبح عما قريب متبادلة بين طوائف وفئات الشعب الواحد فى كل دولة عربية على حدة وما حدث فى العراق ولبنان والسودان سيتكرر فى كل دولة عربية تشهد كراهيات محلية جدا بعد ان كانت اقليمية وقطرية.. ليبقى الآخر الغربى فقط هو المقبول وهو الحل والملاذ والمنقذ والسيد المطاع حتى اذا كان مجلوبا من حوارى وغرز ومقاهى أمريكا وأوربا.

فهل بعد هذا كله تسألنى وتدعونى الى قبول الآخر..؟ وأى قبول تريده بعد كل هذا الانبطاح للآخر..؟ وماذا يعنى أمين عام الجامعة العربية وغيره من الساسة العرب بقولهم ان علينا بذل الجهد لتحسين صورة العرب والمسلمين لدى الغرب؟

ان الحكام العرب مطالبون بتحسين صورتهم لدى شعوبهم.. وكل شعب عربى مطالب بتحسين صورته لدى الشعب العربى الاخر.. وتلك هى المشكلة التى ينبغى ان ننفق من اجلها الملايين.. أما صورتنا فى الغرب فهى لن تتحسن ولو بالطبل البلدى لأن المسألة محسومة بالآية " ولن ترضى عنك". وأما الآخر اذا اردتم به الآخر الدينى فانه هو الذى يرفضنا ولسنا نحن.. وهم يدللون على رفضنا لهم بالآية القرآنية التى تقول: "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا" ويقولون انها دعوة لمعاداة اليهود والغرب.. وهذه مرة أخرى عربة أمام الحصان.. لأن الآية لمن يتدبر ويتأمل تقول هم أشد عداوة لنا ولسنا نحن من يعاديهم.. العداوة منهم لا منا.. وهى حقيقة تصدق كل لحظة.. لا يكفون أبدا عن عداتهم لنا.. وكأنهم مسخرون ليثبتوا صدق ما ورد بالقرآن الكريم.. هم الذين يعادون وهم الذين ينقضون العهود ويقطعون الايدى الممدودة بالسلام.. فقط ليؤكدوا هم وليس غيرهم أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقبول الآخر الدينى عندنا تكليف وليس اختيارا – لا نفرق بين أحد من رسله – ولا نؤمن ببعض ونكفر ببعض واذا رسم الغربيون أو الاسرائيليون صورا كاريكاتيرية مسيئة للنبى صلى الله عليه وسلم أو مزقوا المصحف وداسوه بالاقدام فإن المسلم الذى يرد برسم مسىء لسيدنا موسى أو سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام أو تمزيق الانجيل أو التوراة يكون كافرا ومرتدا عن الإسلام.. بل ان القرآن نهى صراحة عن ان يسب المسلم الكافر حتى لا يسب الكافر.. الله عز وجل عدوا بغير علم.. ولو نقص إيمان المسلم بعيسى أو موسى أو داود أو سليمان أو أى نبى أو رسول شعرة أو مثقال ذرة لضاع ايمانه كله وحبط عمله.. فلا اختيار لنا فى قبول الاخر الدينى.. بل ان قبول الاخر الدينى من المعلوم من ديننا بالضرورة.. والمشكلة كلها فى الاخر الذى ينفينا ويقصينا ويرفضنا دينيا وعرقيا وثقافيا وحضاريا ولن

عنا.. ولن فى اللغة العربية حرف نفى للمستقبل فهو حرف نفى فى غاية
ى.. لن يرضوا عنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. وها هو القرآن الكريم
كما تحدى مشركى مكة من قبل وقال عن أبى لهب وهو حى يرزق "سيصلى
ات لهب".. وهو يتحدى الان حين يقول: "لتجدن أشد الناس عداوة.." ليؤكد
داوة منهم وستظل منهم وليست منا.. فوفروا فلوسكم التى تريدون انفاقها
حسين صورتنا فى الغرب لانها لن تتحسن لان أهل الغرب وحكامه وأهل
ئيل وحكامها من جنود الله الذين سخرهم ليثبتوا صدق كلام الله فى القرآن
م بفعلهم لا بقولنا.. وعليكم اذا اردتم.. ان تنزعوا الكراهية لبعضنا من
رنا.. وان تحاصروا الكراهية المتبادلة بين الشعوب العربية قبل ان تتحول الى
ية بين ابناء الشعب الواحد فى كل دولة.

نا محتاجين الى مواعظ ونصائح بقبول الاخر لأننا نريد أن نبرأ ونشفى من
القبول الذى صار عقدة الخواجة.. نحن فى حاجة الى مواعظ من أجل قبول
أو الأخر العربى الذى يكرهنا ونكرهه حتى الموت مهما ادعينا بعكس ذلك..
نريد اعادة محاكمة للاستاذ حمام بطل فيلم غزل البنات.. ونريد محاكمة كل
أدى دور المأذون وامام المسجد ومدرس اللغة العربية.. نريد محاكمة الفن
تحديد السينما التى اعلت من شأن الآخر وحطت من شأن الأنا وأرضعتنا
اهيم وتقاليد وقيم الاخر على أنها منتهى التحضر وقمة الاخلاق وغاية العلم
ثقافة ومن خالفها كفر ومن قال بغيرها كذب ومن صد عنها ضل ومن زاغ عنها
اع.. محاكمة عاجلة للسينما التى اقنعتنا بأن الحل الامثل والعلاج الناجع هو أن
رب لكى ننسى.. ولم يخطر ببال صناع الفن السابع ان يجعلونا نصلى أو نذهب
المسجد أو الكنيسة لكى ننسى ونشفى.. فالمشاكل غربية والعلاج غربى..
لجنة فى الغرب والنار فى الشرق.. وشيئا فشيئا تعلمنا ان نحتقر بعضنا ونحتقر
فسنا.. وانهارت تماما مناعتنا وسكن الغرب عقولنا وقلوبنا ورفع الاستاذ حمام
مثل العرب والشرق - حذاء ليلى ابنة مراد باشا ممثلة الغرب وحضارته الى فمه
قبله.. ليؤكد من ساعتها منتهى القبول للآخر.. أو قبول الآخر على الآخر أو قبول
غربى على البحرى ومع ذلك "لن ترضى عنك"!

«مين السبب فى الحب»؟!

تلقيت رسالة رقيقة من صديقى فتحى عبداللطيف محمد من الإسكندرية رأيت بعد قراءتها ان نتوقف جميعا تحت ظل شجرة العيدين ـ الميلاد المجيد والاضحى المبارك ـ لنلتقط أنفاسنا قليلا ونكف عن تقليب المواجع حينا من الدهر.. فالصديق فتحى بدا «موجوعا» فى رسالته وجعلنى ألوم نفسى بعض الشىء لأننى أنكأ الجروح.. لكننى بعد برهة أدركت أننا بحاجة ماسة إلى ملايين الموجوعين والمتألمين لأن الوجع والألم علامة صحة.. والذين يموتون من البكاء خير من الذين يموتون من الضحك على خيبتهم.. وأخطر الأمراض هى التى لا ألم معها ولا وجع.. ولا أمل فيمن لا ألم عنده.. والآملون دائما متألمون.. أما اليائسون فقد ارتاحوا من الأمل والالم معا.. واليأس كما يقال إحدى الراحتين.

وأخاف أن يأخذنى الألم والأمل فأسترسل وأعود إلى تقليب المواجع ونحن فى واحة العيدين لذلك «أفرمل» نفسى وابحث عن قضية «هايفة» أو موضوع خفيف للدردشة.. ومرة أخرى أجدنى أصل إلى قناعة بأنه لا يوجد فى الدنيا قضية «هايفة» ولكن يوجد كاتب أو قلم «هايف».. ولا يوجد موضوع خفيف ولكن توجد عقول خفيفة..

وقد شدنى منذ يومين موضوع الحب عندما سمعت شابا يقول لفتاته التى تسير بجواره فى الطريق: يا حمارة يا مجنونة.. فردت الفتاة بضربة خفيفة على كتف فتاها تعبيرا عن سعادتها بكلمات الغزل التى قالها لها «يا حمارة يا مجنونة».. وعرفت أن العلاقات الحميمة والخاصة جدا من حب أو صداقة يتم التعبير عنها هذه الايام بالسب «والقذف».. كدليل على رفع الكلفة والتقارب الشديد.. وقفز إلى ذهنى سؤال يبدو لأول وهلة أنه خارج الموضوع هو: لماذا زالت دولة الشعر فى زماننا ولم يعد له زبائن ولم يعد بضاعة رائجة؟

وفى نفس اللحظة قفزت الإجابة التى أرضتنى وأعجبتنى بصرف النظر عن صوابها أو خطئها ورأيت أن الشعر أساسا نشأ وخلق من أجل الغزل والحب ثم تفرعت من هذا الغرض الاساسى اغراض اخرى كالمدح والهجاء والرثاء.. وحتى هذه الاغراض لا تخرج عن كونها حبا أو كراهية.. فالمدح غزل فى سلطان أو مسئول حى والرثاء غزل لميت والهجاء كراهية.. وكان شعراء العرب الفحول يبدأون قصائدهم فى اى غرض شعرى بالغزل لإيقاظ مشاعرهم وجعلها تتدفق بسهولة.

هى ملهمة الشعراء فى كل زمان ومكان بشرط ان تكون عزيزة المنال وعندما
ثير عزة عن سبب إقلاعه عن الشعر فى أواخر عمره قال: ماتت عزة وذهب
فماذا يتبقى لى من الشعر؟.. وقد ظل أحدهم عدة أسابيع يكتب قصائد فى
تى تستند بذراعيها كل ليلة على الشرفة.. وقال فى حبه لها ما يجعل الحجر
تى تبين أنه كتب كل هذه الروائع فى قلتين موضوعتين على الشرفة ظنهما
محبوبته..!

ب زمان كان أخف دما وأثقل عقلا من شباب هذه الايام الخفيف العقل والثقيل
وكان طلاب الجامعة القادمون من الريف يسعون لاختيار مساكنهم فى بيوت بها
ت.. ووضعوا من أجل ذلك بيت شعر لذيذا جعلوه شعارهم يقول:

سكنت بمنزل ليست به.. بنت تطارحك الغرام فعزل، وضعف أحد الاساتذة يوما
مال طالبة تؤدى أمامه امتحانا شفهيا وكان اسمها دولت.. فقال لها بأدب جم:
ا الجمال يؤدى الامتحان أمامى؟ فردت بحزم: ما هذا يا أستاذ: هل تمتحننى أم
ى؟ وعرف طلابه الخبر.. فكان كلما دخل قاعة الدرس يرددون بصوت واحد: يا

ظلم انمحى وبيدى.

ذا كان مستوى الشباب فى الجد وفى المزاح.. وكان الشباب فى الماضى يلفت
فتاة باستعراض عضلاته الثقافية والفكرية.. وهناك من كان يتظاهر بقراءة كتاب
لة أو صحيفة لينال اعجاب الفتاة ويقنعها بأنه مثقف.

لم يعد الأمر صعبا كما كان.. ولم يعد المرء بحاجة للمعاناة وكتابة الشعر
واطر فالمرأة لم تعد عزيزة المنال.. والفتيات على قارعة الطريق حتى الثانية بعد
صف الليل.. وليس فى المرأة الآن ما يغرى بكتابة قصائد الغزل والبكاء تحت
فات أو الاطلال.. فالمرأة الآن قطوفها دانية.. لذلك نضب معين الشعر ولم يعد
أمير الشعراء شوقى معنى ولا قيمة.. حين قال:

ب نظرة فابتسامة فسلام.. فكلام فموعد فلقاء

وقت لهذا كله والناس يبدأون من الآخر وليس صحيحا أن سن الزواج تأخرت لدى
اب والفتيات بسبب الفقر وضيق ذات اليد ولكن لأن الزواج لم يعد مغريا حيث إن
ب والفتاة كل منهما متاح للآخر مجانا وبسهولة.. كما ان الشباب فى الشرق
رب صاروا مثل قوم موسى الذين قالوا له: لن نصبر على طعام واحد.. واستبدلوا
ى هو ادنى بالذى هو خير وفضلوا الفوم والعدس والبصل والبقل والقثاء على المن
لوى.. وما يفعله الشباب والفتيات فى الشرق والغرب بلا زواج يغنيهم عن الارتباط
ع القلب.. وودنك منين يا جحا.

لا أصدق الاحصاءات المطبوخة والمفبركة التى تقول إن ظاهرة الزواج العرفى

انتشرت بشكل مخيف بين طلاب الجامعات والمدارس.. وأراهن على ان هذا كلام فارغ.. فالشباب والفتيات ليسوا بحاجة للتحايل واللف والدوران «ودوشة الدماغ» ليصلوا إلى بعضهم.. فهم متوفرون مثل السلع مع الباعة الجائلين وباعة الاتوبيسات.. ويمكن لأى من الشاب أو الفتاة أن يلتقط الآخر ويطارحه الغرام بسهولة وبلا أى حاجة إلى هذه الاجراءات المعقدة.. ولا أصدق أبدا أن الشاب يحب الفتاة ويسهر معها ويعانقها على الكورنيش جهرا ثم يتزوجها سرا أو عرفيا.. هذا كلام لا يستقيم لانه كلام سقيم والحب بين الرجل والمرأة بلا زواج لا معنى آخر له سوى الجنس.. مهما قال هواة التبرير بغير ذلك.. وأهل الغرب أكثر وضوحا منا فى هذا ا لأمر.. فممارسة الحب عندهم تعنى ممارسة الجنس وورد المعنى الجنسى الحب بحذافيره فى القرآن الكريم فى سورة يوسف «قال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه.. قد شغفها حبا».

وفيما عدا هذا الموضوع لم يرد الحب بمعنى الجنس.. ولم يصف القرآن الكريم علاقة الزوجين بالحب بل بالمودة والرحمة.. وتحدث القرآن والسنة عن حب الله والرسول وقال الإنجيل: «الله محبة».. وقال: «أحبوا أعداءكم».

وانى لأضحك كثيرا من الذين يقولون إن الحب أنواع: حب الرجل والمرأة وحب الوطن وحب الأسرة.. وحب الوالدين.. وهذا كلام فارغ.. فلا توجد فى الانسان أزرار يضغط عليها ليخرج له حب الوطن مرة وحب المرأة مرة أخرى فالإنسان محب أو غير محب ولا أصدق أن من يخون وطنه أو يعق والديه أو يقطع علاقته بربه يمكن أن يكون صادقا فى حب فتاته هو فقط صادق فى رغبته الجنسية وغريزته.. لكنه ليس محبا وهذا الكلام عن أشكال وألوان الحب يشبه الكلام الفارغ الآخر.. الذى يقوله البعض وهو أننى أحب هذه بعقلى وأحب الأخرى بقلبى فالإنسان كل متكامل وليس غرفا منفصلة إحداها للحب بالقلب والأخرى للحب بالعقل.. ولا أحد يعرف حتى الآن «مين السبب فى الحب القلب ولا العين».. وبتفسيرنا الأخير للحب بين المرأة والرجل قد لا يكون السبب فى الحب القلب أو العين وإنما شىء آخر.

ومعظم أطفال الشوارع فى العالم ثمرة الحب بين الرجل والمرأة.. فهما يتحابان والمجتمع يدفع الفاتورة ولأن الحب الحقيقى والشامل والذى ليس أشكالا وألوانا اختفى من الدنيا أو كاد اخترعنا له أعيادا تشبه النصب التذكارى للجندى المجهول أو لضحايا الكوارث فصار هناك عيد للحب وعيد للأم وعيد للأسرة مما يعنى أنه لا يوجد حب قبل أو بعد العيد ولا توجد أم خارج العيد.. واختراع الاعياد محاولة لتذكير انفسنا بما نسيناه ثم نعود لننسى مرة أخرى.. وعيد الحب أو عيد فالنتاين كما يسمونه أكبر برهان على أن الحب هو المرادف للجنس.. ففى هذا العيد تزداد جرعة الحب على المعتاد.. ويكثر عدد أطفال الشوارع.

إلى الدين نجد الحب شرطا للإيمان فقد قال رسول الله صلى الله عليه
ناه: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال ما معناه: «لا
م حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وبهذا المعيار الصعب
ساس أخشى على نفسى وعليكم ألا نكون مؤمنين فأنا لا أظن أننى أحب
ب لنفسى.. ولا أظن اننى وصلت إلى درجة ان يكون الله ورسوله احب إلى
ـا.. وقليلون هم الذين بلغوا هذه الدرجة وكان أحد العارفين يقول: «اللهم
لقليل اشارة إلى آيتين أحداهما تقول: «وقليل من عبادى الشكور».. والأخرى
قربين: ثلة من الأولين وقليل من الآخرين».

أحببنا بصدق وقوة وكرهنا بصدق وقوة فإن مشاعرنا هذه ليست الفيصل
ول الحاسم والنهائى.. بل ان الله تعالى أمرنا أن نشك فى مشاعرنا وان نعيد
حين قالت الآية لمن يكره زوجته: «فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا
ه فيه خيرا كثيرا».. وفى اية اخرى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
تحبوا شيئا وهو شر لكم».. وهى اية عن القتال الذى كتب علينا وهو كره لنا..
أن الانسان العجول الظلوم الجهول قد يحب ما هو شر له ويكره ما هو خير

ف أو أسمع أن رجلا اشتكى من عشيقته لأنه لا يريد منها سوى أمر واحد
ه على خير وجه ولكن الرجل دائم الشكوى من زوجته لأنه يريد منها أشياء
يرة جدا ليس منها أو ربما اخرها ما يريده من عشيقته.. والمرأة فى الحالين
ل تماما تشتكى زوجها ولا تشتكى عشيقها.. والرجل يحب ان يقال له إن
جميلة وفاتنة ويكره ان يقال له إن امرأته جميلة.. والمرأة تحب هذا وتكره هذا
الدعاة الجدد فى الدين يحبون وعظ النساء أكثر من الرجال ويعشقون اسئلة
ن طالت ويملون أسئلة الرجال وإن قصرت.. وتطويل اخبار الهوى لذة أخرى
الشاعر.. ونجومية الداعية الجديد تقاس بإقبال النساء عليه لا بإقبال
. وهناك اقبال كبير من المشاهدين الآن على البرامج الفضائية الدينية ليس لأن
ى اتسع ولكن لمتابعة اسئلة النساء على الهواء عن الدورة الشهرية وأفضل
لمعاشرة الزوجية.. وسماع صوت السائلات الناعم الحالم وكأنهن يسألن وهن
ومستلقيات على السرير.. ومع ذلك لم نسمع داعية من متلقى الأسئلة قال فى
سالة إن صوت المرأة عورة.. فهو عورة إذا سألت غيره فقط.. لكننا نسمع الداعية
حياء فى الدين وهو قول سخيف ومغلوط ودعوة صريحة للوقاحة.. لأن الحق
شك فيه هو انه لا دين لمن لا حياء عنده.. والحياء شعبة من شعب الايمان..
ن الموضوع الذى أردنا أن يكون خفيفا وتافها صار أثقل مما توقعنا.

ية كده»

عائشة عبد الهادى
حمراء الخدين!!

العيب الوحيد فى عائشة عبدالهادى وزيرة القوى العاملة أنها حمراء الخدين.. مثل الورد.. والجريمة الكبرى التى ارتكبتها أنها وزيرة بلا مؤهلات فى بلد (بتاعة شهادات).. وما ينبغى أن يمدح الناس به عائشة عبدالهادى أصبح مادة لذمها. فهى عاملة تربت فى الغنابر وحصلت على الابتدائية بالعافية وأبوها كان (بتاع فطير) وأنها وزيرة (بلدى خالص).

ومشكلة عائشة عبدالهادى أنها لم تترك لأحد سرا يكشفه وينقب عنه وأنها تقول كل ذلك عن نفسها وتقول أكثر منه مثلها مثل شعبان عبدالرحيم الذى ظل يفخر بأنه مكوجى رجل وأنه من قاع المجتمع.. وهكذا فوتت الوزيرة والمطرب الشعبى على الناس فرص تقليب الدفاتر وكشف المستور.. فليس لديهما شىء مستور.

زمان فى الستينيات من القرن الماضى سمعت حديثا إذاعيا لفنانة مشهورة ظلت تفخر على الهواء بأن اباها (حلاق صحة).. ولا أريد أن أذكر اسمها حتى لا ترفع دعوى ضدى الآن وتقول إن ذلك لم يحدث وأنها لم تقل ذلك لأن أباها كان وزير صحة وليس حلاق صحة.. من أجل ذلك سأحتفظ بالطابق مستورا.. ففى الوقت الذى تحدثت فيه الفنانة عن أصولها المتواضعة كان الجميع يفتخرون بأنهم أبناء عمال وفلاحين وعتالين وزبالين. كان الزمن زمن الاشتراكية والاتحاد الاشتراكى.. وكان الأغنياء وأبناء الاقطاعيين والطبقة الراقية يدارون غناهم وأصولهم وينفون نفيا قاطعا أنهم من سلالة ارستقراطية ويبحثون لأنفسم عن تاريخ متواضع وآباء وأجداد من «الصرماتية» أو البوابين أو العطشجية.. أما الآن فى زمن الخصخصة والمصمصة واللصلصة فإن الفقراء والسوقة والدهماء يدارون فقرهم ويبحثون لهم عن أصول ارستقراطية أوينسبون أنفسهم للأشراف أو قبيلة عربية كبرى مثل قريش أو تميم.

ويقولون إنهم جاءوا بوزيرة أمية إلى القوى العاملة ليضحكوا عليها ويمرروا الخصخصة ويقطعوا دابر القطاع العام.. وهو قول ساذج ومضحك لأن الذين قادوا الخصخصة وحملوا رسالة الرأسمالية المتوحشة والعولمة المفترسة دكاترة فى الجامعات ولديهم شهادات (تسد عين الشمس) ولأن الذين خالفوا الدستور الاشتراكى بإجراءات رأسمالية هم ترزية القوانين الذين لديهم شهادات عليا فى القانون الجاهز والتفصيل.

أحدا فى مصر يعمل بشهادته ومؤهله الذى حصل عليه.. وبالتالى فإن
مجال ليس مؤهلا له.. و أيضا بلا شهادة والصحفيون الذين هاجموا
ادى معظمم لم يتخرجوا فى كليات أو أقسام الصحافة.. فمنهم خريجو
يدلة أو الطب أو التجارة.. وإذا كان هذا مقياسا فإننا نتهمهم بأنهم يعملون
لا مؤهلات ولا شهادات.

خرجوا فى كليات وأقسام الصحافة بدأوا فى المهنة من الصفر ولا علاقة
ما يمارسونه أى أنهم مطالبون بأن (يبلوا شهاداتهم ويشربوا ميتها) وأعظم
الأدباء والمفكرين فى مصر بلا مؤهلات علمية أو عليا ومازلنا نتعلم على
كتبهم.. وكل الوزراء الذين تسلموا حقائب مهمة فى عهد ثورة ٢٣ يوليو لم
ؤهلات مخيفة من تلك التى نسمع عنها الآن.. فمنهم من كان لديه دبلوم
من كان مجرد ضابط صغير فى الجيش وصار وزيرا للثقافة أو الاعلام أو
ة صحفية.. ولم يستطع أحد أن يفتح فمه لأن الكلام والتفكير والتخيل كانت
ـة.. ومع هذا فإن كثيرا منهم كانوا مسئولين ووزراء ناجحين ونسى الناس
هاداتهم ومازالوا يذكرون انجازاتهم.

حاكما فى العالم كله يمكن أن يدانى محمد على باشا الذى كان أميا وجنديا
الجيش العثمانى وأجنبيا أيضا.. وكانت لديه كل العيوب والنقائص الكفيلة
فاشلا وخائنا مع ذلك حقق ما لم يحققه أحد من انجازات وانتصارات.

اجحين والمتميزين الآن أبناء لأمهات وآباء أميين حققوا ما لم يحققه آباء
حملة الدكتوراة.. ومعظم رجال أعمالنا الذين لهم اليد العليا الآن فى حياتنا
لا يعرفون «الألف من كوز الدرة» بينما العشرة بقرش من حملة الليسانس
ن والدكتوراة.

أو أقرأ أو أر خيرا من خريجى الجامعات وحملة الدرجات العليا فكثيرون
ار يحمل أسفارا.. وقد كانت الأسر فى أوائل القرن الماضى تطلق الجواسيس
ن يتقدم للزواج من بناتها لتعرف أصله وفصله وحسبه ونسبه.. وبعد ثورة ٢٣
رت الأسر تبحث عن (الأفندى) وتسأل عن شهادته والآن تسأل الأسر عن
ى يمتلكها العريس مهما كان مصدرها.. ولم يعد غريبا أن تتزوج الدكتورة أو
و الصحفية فكهانيا أو تاجر خردة أو جزارا.. أو ثريا مجهول الهوية قادما من
الواق).. وهى لا تشعر بفرق كبير بين فكره وفكرها لأن الشهادة لم تضف لها
زا ولأن غياب الشهادة لم ينقص من العريس شيئا.

الانقلاب فى المفاهيم والمعايير يؤكد أن التعليم عندنا لا يقدم ولا يؤخر ولم يعد
لامة أو سكة النجومية أو الطريق إلى الوزارة فوكيل المحامى القديم خير من مائة

محام تخرجوا فى الحقوق والتومرجى (المدقدق) خير من ألف طبيب.. وفى بداية عهدى بالصحافة تعلمت كثيرا واستفدت من عمال مطبعة وسعاة قدامى وذوى خبرة شربوا المهنة بالموهبة والتقادم.

والحكاية التى كنا نسمعها قديما فى الدراما ونتأثر بها صارت الآن مضحكة وسخيفة رغم أن الممثلين والممثلات مازالوا يرددونها وكأنهم خارج الزمن.. فالفتاة تصر على اكمال تعليمها للحصول على شهادة تكون (سلاحا فى ايدها).. وهذا السلاح أصبح الآن فاسدا وتعليمنا صار مجرد مدارس وجامعات تدفع وشوارع تبلع.. وصار لدينا ملايين العاطلين من حملة المؤهلات العليا والمتوسطة ولدينا ندرة من العمال المهرة والنجارين والسباكين الموهوبين.. وحملة المؤهلات العليا لديهم أوراق اسمها شهادات لكنهم بلا مواهب ولا رؤوس ويتخرج الطبيب فى كلية الطب ليتعلم فى الناس ويسرق فلوسهم وأعمارهم ويتخرج المحامى لينصب على الناس ويعمل لهم (البحر طحينة).. ويتخرج الصحفى ليمتلك مساحة وقلما يبتز به الناس فيمدح من أعطى ويقدح من منع.. ولا أعرف أن المؤهلات حسنت أخلاقا ولا رسخت قيما ولا عمقت إيمانا ولا خلقت إنسانا صاحب قضية ورسالة ولا أظن أن الأساتذة فى المدارس والجامعات أفضل حالا ولا أحسن خلقا من تلاميذهم وطلابهم.. فهم تجار دروس خصوصية وملازم ويسرقون رسائل الدكتوراة من غيرهم ليحصلوا على الدرجة زورا وبهتانا.

ومعظم المجرمين واللصوص والمرتشين الآن حملة مؤهلات عليا ومنهم نجوم مجتمع حتى المرأة ذات المؤهل العالى والنجومية دخلت لعبة اللصوصية والرشوة وصارت من ربيات السجون.. والمسألة لا يصح الحديث عنها بالقطعة بل ينبغى تناول القضية بشكل كلى وهى أن النظام التعليمى كله فاشل وأن الترميم لم يعد ذا جدوى وأن الحل هو هدم النظام التعليمى كله ليقام على أنقاضه نظام جديد.

الجامعات والمدارس عندنا صارت مجرد (عدد فى الليمون) وانتشرت فى طول البلاد وعرضها انتشارا سرطانيا ولكن المسألة كلها تبقى جعجعة بلا طحن وعددا بلا عتاد وكما بلا كيف.. ونحن نفخر دائما بالكم على اعتبار أن الأرقام لا تكذب.. بينما لا نعبأ بالكيف رغم أنه مربط الفرس.. فنقول إن لدينا مليون مدرسة وألف جامعة ولا نقول كم عقلا وكم موهبة أفرزتها هذه الملايين والألوف من المدارس والجامعات.. أما أنا فأقول إننا لو الغينا التعليم كله فلن نشعر بفرق كبير.. ولو أقلعنا عن توزير الدكاترة لاسترحنا فلم ينبنا منهم إلا الكلام الكبير والفعل النادر والكوارث والخطايا.. ولو صار الكمسارى أو سائق الاتوبيس وزيرا للنقل لحصلنا على نتيجة أفضل ولو صارت أى «داية» قديمة وزيرة للصحة لاختفت موضة العمليات القيصرية التى أقبل عليها الاطباء لأنها تدر أرباحا أكبر ولاختفت موضة الحجز المسبق لدى الطبيب ليحدد لك الموعد بعد أربعة أشهر.. وهو ليس سوى جزء من الدعاية لنفسه وليس صحيحا أن لديه زحاما مرضيا على مدى أربعة شهور.. وهى دعاية

ى ثمارها لدينا فالمريض يفخر بأنه حجز عند طبيب عليه زحام وسعر الكشف عنده
تا جنيه.. فالمريض وموكل المحامى وتلميذ المدارس وقارئ الصحفى ومشاهد المذيعة
م يعشقون من ينصب عليهم ويضحك عليهم.. وقد قال لى طبيب مرة أنه لو جعل سعر
شف لديه عشرة جنيهات لانفض عنه الزبائن لأنهم لا يثقون بالطبيب الرخيص.
تخرون بالذهاب إلى الطبيب الغالى.. الناس يحبون من يضربهم على قفاهم.. وقد تعلم
رس من الطبيب وكلما رفع سعر حصة الدرس الخصوصى زاد زبائنه وأقبل عليه
لاميذ.. والناس فى بلدى يشترون السلعة بجنيه ويقولون إنهم اشتروها بعشرين جنيها..
س فى بلدى يفخرون بأنهم بلهاء.. وذات مرة راح أحد الأصدقاء يحكى لى قصته مع
درسى الدروس الخصوصية.. وقال إنه يدفع لمدرسى ابنه فى جميع المواد ألفا
خمسمائة جنيه شهريا.. فقلت له: أريد أن أسألك سؤالا بريئا وتجيبنى بصراحة: هل
كو أم تفتخر وتتمنظر؟ ولم أسمع إجابة منه حتى الآن.

ونحن نطارد بعضنا فى المنظرة وانقطعت أنفاسنا بلا فائدة فإذا اشترت المرأة فستانا
لت تفاخر به وتبالغ فى سعر شرائه ثم تفاجأ بمثله على جسد بائعة خضر فى السوق
تعود حزينة وتلقى بفستانها فى الزبالة.. ولم يعد أحد عاجزا عن الاقتناء ولم يعد أحد
ا قادرا على التميز والتفرد حتى اننى وصلت إلى قناعة أرضتنى بأننى وحدى القادر على
تفرد والتميز لأننى قررت ألا أقتنى ما يقتنيه كل الناس وألا أسابق على ما يتسابق عليه
ناس.. فالشىء الذى فى أيدى الناس ليس فى يدى.. فأنا المتفرد والمتميز ووصلت إلى
ناعة أخرى أراحتنى وهى أن الغنى هو من يستغنى عن الشىء بينما يرى كل الناس أن
لغنى هو من يستغنى بالشىء.. وثراء الترك عندى خير من ثراء الاقتناء والأخذ.. ومقاومة
لحاجة خير من تلبيتها وأرى أن الحاجة خلقت فينا لنقاومها لا لنلبيها مثلها مثل الغرائز
والشهوات.. وأن تلبية الحاجة تخلق حاجة أخرى بينما مقاومتها تقتلها ولا تخلق غيرها.

وما يراه الناس نقصا فى الوزيرة عائشة عبدالهادى أراه تفردا وتميزا فهى الوزير الوحيد
فى الحكومة الذى لا يحمل مؤهلا طويلا يضعه على الكارت.. وهى الوحيدة القادمة من
القاع ولم تهبط على مقعدها بالمظلة مثل كل زملائها الوزراء.. وهى الوحيدة التى تمثل
رعايا وزارتها لأنها جاءت إلى مقعدها من عنبر العمال فى شركة سيد للأدوية.. وهى
وحدها الوزير المناسب فى المكان المناسب بينما لم يتحدث أحد عن وزراء لا علاقة لهم
بوزاراتهم من قريب ولا من بعيد وتشعر بأن استوزارهم تشريف لا تكليف وعلى الذين
يهاجمون عائشة عبدالهادى لأنها أمية أن ينسوا فكر عباس محمود العقاد ويمزقوا كتبه
لأنه أمى ولم يحصل إلا على الابتدائية مثل الوزيرة الحاجة عائشة.. ولو كنا نقيس الناس
بالشهادات لألغينا وشطبنا تاريخنا كله لأن جميع عظمائه وأبطاله وصناعه بلا شهادات..
وكل الذين يقيمون الناس بشهاداتهم ليس لديهم سوى شهادة واحدة هى شهادة الزور.. آه
يا بلد.

أقر وأعترف بأننى إرهابى!!

أحداث العالم أصبحت مثل الأفلام العربية القديمة.. نفس الفكرة مع تغير الأبطال ونفس الحوار ونفس النهاية.. لكن نهاية أحداث العالم دائما تعيسة وحزينة.. ونهاية الفيلم العربى القديم سعيدة.. والأجواء هذه الأيام تذكرنى بالأجواء التى سبقت حرب تحرير الكويت عقب الغزو العراقى قبل ستة عشر عاما.. نفس الجولات المكوكية واللقاءات والاتصالات والمشاورات والمساعى العربية والدعوة الى ضبط النفس.. وينتهى الامر بالحرب التى كانت مقدمة منطقية لما صار عليه العراق الآن.

وفى الأولى كانت الكويت الضحية والعراق الجانى وأمريكا القاضى.. والآن لبنان الضحية وسوريا الجانى وامريكا القاضى.. والسيناريو نفسه يتكرر والنهاية متوقعة.. وجدول اعمال الجامعة العربية مستعد لفتح صفحة جديدة ولاضافة بند جديد هو بحث المستجدات على الساحة السورية فى ظل الاحتلال الامريكى أو حرب تحرير سوريا كما ستسميها أمريكا بعد ان يقع المحذور الذى لم يعد محظورا.

إننى اسمع نفس الحديث عن ضرورة حل المشكلة فى اطار عربى ورفض التدخل الخارجي والسعى الى احتواء الأزمة من منطلق الاخوة العربية.. وفى النهاية لايملك اللاعبون العرب فى الساحة الا ان يجلسوا فى مقاعد البدلاء أو مقاعد المتفرجين لينزل اللاعب الاجنبى الى أرض الملعب ويحسم المباراة.. فهو ملعب عربى لكن اللاعب والحكم والمراقب أجانب.

ومازال القادة العرب وحدهم مصممين على إحاطة كل الأمور بسياج من السرية والكتمان.. فاللقاءات مفاجئة والزيارات سريعة والمباحثات تناولت مستجدات الاوضاع على أى ساحة واكدت الحرص المتبادل على تدعيم العلاقات بين الاشقاء.. رغم ان أقل الناس قدرة على الإدراك والفهم يعلم ان العرب لم يصنعوا مشاكلهم ولم يخلقوا أزماتهم وبالتالى فإنهم لايملكون حلها.. وأنهم مجرد أدوات فى يد من يحرك العرائس على المسرح.

العالم الآن لم تعد به أسرار ولم تعد به مؤامرات تحاك بليل وفى جنح الظلام فاللعب على المكشوف.. وأجهزة الاستخبارات فى العالم كله لم تعد مهمتها جمع المعلومات ومعرفة الاسرار وكشف المستور. فذلك أمر ليس فى حاجة إلى أجهزة استخبارات وإطلاق جواسيس.. وصارت مهمة أجهزة الاستخبارات الآن فبركة معلومات كاذبة لاعطاء مبرر

زو والاحتلال كما فعلت وكالة الاستخبارات الأمريكية فى قصة اسلحة الدمار الشامل
راقية وعلاقة صدام حسين بتنظيم القاعدة.

كما اصبحت أجهزة الاستخبارات تتصرف مثل المجرمين العتاة. حيث تخطط وتنفذ عمليات اغتيال أو تفجيرات أو اشاعة فتنة هناك أو هنا لاعطاء مبرر للتدخل العسكرى الغزو والاحتلال.. والمظلة الدولية فى كل الاحوال جاهزة لتغطية جرائم "الفتونة والبلطجة شغل المافيا".

والمخطط الامريكى لاعادة رسم خريطة المنطقة ليس سرا فهو مكتوب ومكشوف عنه لحجاب ومترجم الى كل اللغات منذ كتب الرئيس الامريكى الأسبق ريتشارد نيكسون نظريته المعروفة عن ضرورة الاستعداد لمواجهة العدو الاخضر بعد سقوط العدو الأحمر.. والعدو الاخضر هو الاسلام والأحمر هو الاتحاد السوفيتى أو الشيوعية بشكل عام.

وخريطة المنطقة المقترحة أو الجديدة مرسومة بوضوح فى كتاب لمستشار الامن القومى الأمريكى الأسبق برجينسكى وخلاصتها تقسيم المنطقة العربية الى دويلات أو كانتونات غير قادرة على الحياة دون الاعتماد الكامل على أمريكا وبحيث لاتكون فى المنطقة أى دولة كبرى من حيث المساحة أو عدد السكان وقد بدأت بالفعل تنفيذ الخريطة بالعراق.

ولا اظن اننى اضيف جديدا الى معلوماتكم بما قلت او اننى "جبت الديب من ديله". فهو كلام معاد ومكرر ويعرفه القاصى والدانى.. لان الدنيا لم تعد بها أسرار ولكنها صارت مليئة بالأكاذيب التى نقول عنها معلومات.

ونحن العرب عاجزون عن خداع أحد أو الضحك على أحد لكننا بارعون فى خداع انفسنا والضحك عليها.. وبارعون أيضا فى ان نلدغ من الجحر الواحد مائة مرة لأننا قوم بلا ذاكرة.

وأنا لا ألوم أمريكا ولا ألوم إسرائيل ولا أتهم أحدا بأنه يتآمر علينا.. فقد بلغنا من العجز حدا جعل اللعب ضدنا على المكشوف "وعلى عينك ياتاجر" فنحن لانخيف احدا ولانجبره على أن يحسب لنا حسابا او يفكر ولو مرة واحدة قبل أن يتحدانا جهارا نهارا.

وأمريكا وإسرائيل تطبقان نظرية منطقية جدا وهى "اللى ملوش عدو يشترى له عدوا". إنها نظرية اختراع عدو لأن أى مجتمع فى الدنيا لايستطيع ان يعيش بلا أعداء.. وهى نظرية اسلامية مائة فى المائة فقد خلق الله سبحانه وتعالى عدو الانسان قبل ان يخلق الانسان نفسه.. خلق الشيطان قبل الانسان ليقول ان العدو يجرى فى العروق مجرى الدم.. وأن الانسان لن يستقيم أمره إلا إذا كان له عدو يقاومه.. ثم جعل الله الحرب قدرا الى يوم القيامة. فلا توجد ساعة من الزمان بلاحرب ولاقتال حتى تقوم الساعة.

وقالت الآية الكريمة : "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض" والدفع هنا هو الحرب بكل صورها.. ولا احد فى الدنيا يمكن ان ينجح او يتفوق إذا أسقط من حسابه وجود حاسدين وحاقدين وكارهين وأعداء لنجاحه.. فالنجاح والتفوق والتميز ليس غاية فى حد ذاته وانما هو وسيلة لاغاظة الحاسدين والحاقدين والكارهين "وكيد العوازل".

والمجتمع الذى يملأ ادمغة أبنائه بأنه مجتمع مسالم وبلا أعداء وأن علاقته طيبة وممتازة بالعالم كله وانه لايواجه أى خطر هو مجتمع غبى أحمق وكاذب أيضا لانه يقول ما يخالف ناموس الكون.. فإذا كنت انت لست عدوا لأحد وبإمكانك ان تقسم على ذلك صادقا فإنك لاتستطيع ان تؤكد انك بلا اعداء وانه لايوجد من يعاديك.

والمجتمع الذى يغنى انشودة السلام الدائم والعادل والشامل والخيار الاستراتيجى يعطى ابناءه شعورا بالامان الزائف الذى يتحول الى فوضى وتسيب وانفراط للعقد وينتاب الناس يقين بأن الحدود هادئة ولايوجد عندها أعداء فتنتقل السخونة والالتهاب من الحدود والاطراف الى القلب والبطن والجبهة الداخلية فيأكل الناس بعضهم ويكثر السلب والنهب والنصب ويعم الفساد الارض ويخترع الناس اعداء "منهم فيهم" بعد ان اسقطوا من حسابهم العدو الخارجى. حيث لابد من عدو ولو كان وهميا.

وهكذا نرى أمريكا واسرائيل تتصرفان بمنطقية غائبة عن العرب تماما فأمريكا واسرائيل اذا سالمتا واسقطتا العدو الخارجى تموتان وتنهاران وتصابان بالتحلل فلو قالت اسرائيل ان العرب ليسوا اعداءها وان الحرب لم يعد لها وجود لانهار المجتمع الاسرائيلى تماما ولرأينا حربا أهلية طاحنة بين السفارديم والاشكيناز والفلاشا ولزالت الدولة العبرية من الخريطة.. فالعدو العربى لابد أن يبقى لتبقى اسرائيل موحدة ومتماسكة وقوية.. ولو بردت حدود اسرائيل وتجمدت وهدأت لالتهب الداخل واشتعل وانفجر البركان.

والمجتمع الأمريكى سينهار مثل الاتحاد السوفيتى إذا أسقط العدو الخارجى من حسبانه.. فكل امريكى يحتفظ بأصوله وجذوره.. وهناك الامريكى الايطالى والامريكى العربى والامريكى البريطانى.. الى آخر السلسلة وهؤلاء يجمعهم جميعا عدو خارجى يتربص بهم ولو كان عدوا مخترعا وتم تحضيره فى المعمل.

المهم ان يكون هناك عدو حتى لاينفرط العقد وتعود أمريكا الى الحرب الأهلية والاشتعال الذاتى أو الداخلى. لذلك لاتكف أمريكا عن ترديد نظرية صدام الحضارات والارهاب الاسلامى حتى تلم الناس حول خطر يتهدد الجميع.

وفى الوطن العربى لنا عبرة وعظة. فقد غفر الناس لجمال عبدالناصر كل ذنوبه وخطاياه والتفوا حوله لانه يواجه عدوا خارجيا ولأنه قال انه لايعلو صوت على صوت المعركة وأن ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة.. وتنازل الناس عن حقوقهم فى الحرية والحياة الكريمة والديمقراطية من اجل مواجهة عدو يهدد الجميع.. واسقط الناس كل انجازات انور السادات بمجرد ان قال ان حرب أكتوبر هى آخر الحروب.. وصرف الناس انظارهم عن الحدود التى صارت فى رأيهم آمنة وهادئة وخاضوا حروبا فى الداخل من

والنهب والفساد والفتن الطائفية لان الحدود اذا نامت استيقظ المارد الداخلى حيث
ن عدو ولو من نسج الخيال.
دما أسقط العرب مشروع العدو الاسرائيلى الذى كان يوحدهم ولو ظاهريا اشتعلت
الخلافات والفتن والحروب وطفت الكراهية المتبادلة على السطح.. واصبح العداء
دول العربية اضعاف ماكان بينها وبين اسرائيل.. وعندما عادت الأجواء الى الصفاء
مرى بين الدول العربية وبعضها.. اصبحت كل دولة عربية على حدة مسرحا لقلاقل
ية وفتن وجرائم ليس لنا بها عهد من قبل.
عرب يرددون كالببغاوات أنهم يسعون للسلام العادل والدائم والشامل وهذا الثالوث
ادل والدائم والشامل" ليس له سوى معنى واحد هو السلام المستحيل فلا يوجد فى
يا سلام عادل ودائم وشامل.. وهذا النوع النادر والمستحيل من السلام يوجد بين
وات فقط.. هم وحدهم الذين يرقدون متجاورين فى سلام عادل ودائم وشامل بعد
ل عداء وحروب.. أى أن الحرب والعداء سنة الحياة وناموس الكون ولو كرهنا ولو
ا.. فالناس فى حرب او يستعدون لها وكان الفيلسوف الالمانى هيجل من الذين يرون فى
حرب فوائد كثيرة للبشرية. حيث قال ان الحرب هى الحجر العظيم الذى ينبغى ان نلقيه
ى بركة المياه الراكدة ليصبح ماؤها جاريا وتتحول الى نهر.
ويأخذ الغرب علينا أن القرآن الكريم يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
خيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" وهذا فى رأيهم دليل على أن الاسلام ارهابى.. فهم
اخترعوا كلمة ارهاب وطبقوها على آيات القرآن.. رغم ان الارهاب فى اللغة ليس فعلا من
فعال القتل وانما هو فعل بمعنى "التخويف والتهويش.. والاستعداد للمواجهة وليس
لمواجهة فى ذاتها" وهو المرادف لكلمة الردع التى يستخدمها الغرب.. هم يقولون انهم
يمتلكون السلاح النووى للردع لا للاستخدام.. أى يمتلكونه للارهاب والتخويف.. فالارهاب
هو الردع.. واذا اعترفوا هم بأن الردع هو الارهاب فإننا نعترف بأن الاسلام يدعو الى
الارهاب فعلا أى يدعو الى الردع والتخويف والاستعداد للمواجهة.. وفى المسيحية الراهب
هو الخائف من الله الذى يردع نفسه ويكبحها وهو المستعد للقاء الله والمواجهة يوم
القيامة.. وكلمة الارهاب مثل كلمة الاستعمار.. كلمة طيبة فقدت دلالتها ومضمونها مع
سوء الاستخدام والتعسف فى التعريف لتصبح كلمة بغيضة وفظيعة والغرب كما استخدم
هو نفسه مصطلح الاستعمار بمعنى الاعمار لتبرير غزوه واحتلاله ونهبه لثروات الدول..
استخدم أيضا كلمة الإرهاب بالمعنى الذى يريده لا بالمعنى اللغوى السليم والحسن للكلمة..
على طريقة الكيل بمكيالين فهو يمتلك السلاح التدميرى للردع.. ونحن نمتلك السلاح
التقليدى للارهاب.. وانا اراهن وأقيم بينكم مسابقة جائزتها جنيه واحد لمن يشرح لى
الفرق اللغوى بين الردع والارهاب.. واذا كانت النتيجة النهائية ان الردع هو نفسه الارهاب
فاننى اعلن امامكم بكل صراحة ووضوح اننى إرهابى!!

..ولكن لا حياة لمن تنادى!!